دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	العلاقة بين القراءات القرآنية والأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم
المصدر:	مجلة كلية الشريعة والقانون
الناشر:	جامعة أم درمان الإسلامية - كلية الشريعة والقانون
المؤلف الرئيسي:	سليمان، حيدر محمد
المجلد/العدد:	ع 4
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2012
الصفحات:	47 - 104
رقم MD:	496269
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	قراءات القرآن، الأحرف السبعة
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/496269

© 2018 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

العلاقة بين القراءات القرآنية
و الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم

دكتور / حيدر محمد سليمان
الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين
جامعة أم درمان الإسلامية

مقدمـــــة:

الحمد لله رب العالمين، والـصلاة والـسلام علـى سـيد الأنبيـاء والمرسلين الحبيب المصطفى وعلى آله صحابته الطيبين الطاهرين.

أما بعد :

ففي سنة خمس وعشرين من الهجرة، وبعد أن تولي سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة بعامين، أحس خطرا على القرآن، إذا بلغـه أن المعلم بالمدينة يعلم قراءة الرجل، والمعلم الآخر يعلم قـراءة رجـل آخـر، وجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع الخلاف إلى المعلمـين، فـصار يكفر بعضهم بعضا ، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه، فخطب فـي النـاس، فقال: أنتم عندي تختلفون، فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافاً . ثم أخـذ يستشير أصحابه فيما بفعل.

وفي هذه الأثناء تجمع جيش من العراق ، وفيه حذيفة بـن اليمـان، وجيش من الشام، وتوجهوا لغزو أرمينية وأذربيجـان. وفـي مـسجد مـن المساجد، جلس الجنود يتدارسون القرآن، فسمع حذيفة رجلاً يقرأ وآخـرون يخطئونه فيما يقرأ, فيقول أهل الكوفة: قراءة ابـن مـسعود، ويقـول أهـل البصرة: قراءة أبي موسى، ويقول أهل الشام، قراءة أبي بن كعب. هذا يقول: قراءتي خير من قراءتك، وذلك يقول: بل قراءتي هي الـصواب وقراءتـك باطلة . وتنازعوا، حتى كادت الفتنة تقع بينهم فغضب حذيفة رضي الله عنه،

واحمرت عيناه، ثم قام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: هكذا كان من قبلكم اختلفوا، والله لأركبن إلى أمير المؤمنين . وما أن انتهت المعارك بالنصر، وعادت الجيوش، حتى توجه حذيفة إلى المدينة، ولم يدخل بيته حتى دخل على سيدنا عثمان رضي الله عنه، فقال : يا أمير المؤمنين أدرك الناس. قال: وما ذاك؟ قال: غزوت أرمينية، فإذا أهل الشام يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود، فيأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفر بعضهم بعضاً! فتعاظم ذلك في نفس عثمان رضي الله عه، واستشار الصحابة، فاستقر رأيهم على جمع الأمة على مصاحف يحرق ما عداها [١].

وقد صنَّفَ ابن مجاهد والشاطبي وغيرهما قراءة سبعةً من الأئمة، ففهم بعضهم من ذلك أنها الأحرف السبعة، أو أنه لا يصح غيرها، وليس الأمر كذلك، بل ربما كان في القراءات العشر ما هو أكثر شهرةً مما ذكره ابنُ مجاهد وغيره في تصنيفهم قراءات سبعة من الأئمة، ومَرَدّ ذلك كله على العِلْم والاطلاع وطريقة التصنيف، وليس المراد لابن مجاهد ولا الشاطبي ولا غيرهما من أئمة القراءات توهين قراءة غير هؤلاء الأئمة السبعة الذين صنَّفوهم، وإنما المراد جمع قراءات سبعة أئمة، كما جمع غيرهم قراءات عشرة أئمة، لكنها جميعًا سواءٌ كانت لسبعةٍ أو لسبعين أو لسبعمائة لا تخرج عن الأحرُفِ السَّبْعَة التي نزل بها القرآن الكريم.وقد اهتم العلماء بموضوع الأحرف السبعة وما يتعلق به أطراف تكاد تختلط به ــ وعنوا به حتى كثرت فيه الأقوال، وتعددت الآراء، واختلفت وجهات النظر، ورجع ذلك إلى أمور عدة :

أولها: أنه موضوع وثيق الصلة بالقرآن الكريم، وهو أساس الدين الذي قام عليه أمرالأمة، ومصدر التشريع الذي تصوغ عليه حياتها، وكلام

الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. والنقل المتواتر هو دعامة قطعية ثبوت القرآن.

ثانيها: أن الأحاديث الواردة في نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف مع كثرتها وتعدد رواياتها جاءت مجملة، لا تكشف عن حقيقة المراد بهذه الأحرف، ولم يأت نص صحيح صريح يبينهما، فكان الاجتهاد في تحديد المراد بها مدعاة للاختلاف.

ثالثها : أن تخاصم الصحابة في هذا الأمر وتحاكمهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الجواب عنه برد كل واحد إلى ما قرأ وتصويبه، ولم تبين الأحاديث الاختلاف الذي كان بين كل قراءة وأخرى، وهذا يدل على أن الأمر صار معروفا لدى الصحابة رضي الله، فلم يحتاجوا إلى بيان، ولو خفي عليهم لسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يبين لهم، فينبغي البحث لمعرفة ذلك ، وهو الذي حدا بالعلماء على التعمق في دراسة أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف رغبة في إدراك المراد بهذه الأحرف.

رابعها: أن الروايات الواردة في مجموعها يشوبها بعض الغموض والإبهام، فليس فيها ما يبين بجلاء نص الآية أو الكلمة التي وقع الاختلاف في قراءتها، ولا نوع الخلاف في تلك القراءات، أكان خلافا صوتيا يمكن أن يعزى إلى تباين اللهجات في النطق وطريقة الأداء مع وحدة اللفظ، أم كان اختلافا في اللفظ مع وحدة المعنى؟

وإذا أنعم الباحث النظر في تلك الآراء التي وردت في كتب علوم القرآن، يجد بعضها غير معزو إلى قائله، وبعضها الآخر استنباطا بعيد المأخذ، ومنها آراء كثيرة ذات مضمون واحد أو متقارب وإن تفاوت التعبير عنها، مما جعل ابن سعدان النحوي [٢]، يرى أن الحديث مشكل، إذ يقول:

(معنى قوله صلى الله عليه وسلم: أنزل القران على سبعة أحرف) مشكل لا يدري معناه، لأن العرب تسمي الكلمة المنظومة حرفا، وتسمى القصيدة كلمة، والحرف هو الواحد من الحروف المعجمة ، والحرف : تعني المعنى والجهة . كما جاء في قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) (الحج : ١١)، أي على جهة من الجهات ومعنى من المعاني . (٣)

أسباب اختيار البحث :

١/ البحث من المواضيع المتعلقة بالقرآن الكريم ، ويشرف الباحث بشرف الموضوع ، فإن لم أدرك شرف حفظ القرآن الكريم ، فأسأل الله تعالى ألا يفوتني شرف خدمة القرآن ، وأن أحشر في زمرة أهل القرآن ؛ فهم أهل الله تعالى وخاصته .

٢/ يوجد خلط كبير في مفهوم القراءات القرآنية والأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم في أذهان العوام وبعض طلبة العلم .

٣/ بيان دواع وأهداف الجمع العثماني للمصحف الشريف وما صاحب ذلك من منهجية ومسئولية .

٤/ جمع الأحاديث النبوية المتعلقة بالأحرف السبعة وإتاحتها للدارسين بعد تخريجها ، و بيان صحتها .

٥/ التعريف بالقراءات القرآنية والقراء ، ومن أخذ عنهم وحرصهم على التلقي الشفهي والسماع في الأداء .

٦/ بيان وجوه العلاقة والتباين بين الأحرف السبعة والقراءات القرآنية .

أهمية البحث :

لم تنشأ أهمية هذا البحث من كونه بحث له تعلق بالقرآن الكريم فحسب، ولكنها تأتي من جهة هذه المنهجية الفائقة في عملية تلقي القرآن الكريم وحفظه، وما توفر لها من جوانب الحرص ووضوح الرؤية التي نفتقدها في هذا الزمان المتأخر بعد أن أضعنا أسباب قوتنا وعزتنا . وما سنقف عليه من تباين واختلاف بين القراءات القرآنية والأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم. و ما أحرانا ونحن نترسم خطا سلفنا أن نقف وقفات مع الذات نتملى فيها من هذه المواقف المبهرة التي تدعوا للفخر والمثابرة وقوة العزم ، حيث كان من حرصهم على القرآن الكريم أن جعلوا من المعايير التي يجب أن تتوفر لحامله ومؤديه ما لا يتطرق إليها الشك ؛ من توافق للرسم واللغة وما تواتر من سماع .

منهج البحث:

ينهض محتوى هذا البحث على عدد من المناهج البحثية منها؛ المنهج التحليلي ، والاستنباطي ، والمنهج الموضوعي؛ حيث قام الباحث بجمع عدد من الأحاديث المتماثلة التي تكون مادة هذا البحث .

المبحث الأول

القراءات القرآنية المعنى والمفهوم

القراءات لغة : جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر قرأ ، يقال قرأ يقرأ قراءة بمعنى تلا، فهو قارئ [٤].

القراءات في الاصطلاح :

عرفها علماء القراءات بأنها: (علم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها بعزو النقلة) [٥] .

شرح التعريف :

وقولهم كلمات القرآن؛ أي كلمة كلمة ، سواء ما يندرج تحت قاعدة عامة ــ وهو ما يسمى أصول القراءة ــ كالإدغام والإظهار والمد والقصر، وتحقيق الهمز وتخفيفه ، والفتح والإمالة. أو ماله حكم خاص ــ وهو ما يسمى فرش القراءة ــ كالجمع والإفراد، والتذكير والتأنيث، وغيرها [٦].

وقولهم بعزو النقلة؛أي أن هذا العلم ثابت بالنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم لا مصدرله سوى النقل المتواتر، والتلقي الشفاهي[٧].

تعريف المقرئ:

وعليه فإن المقرئ هو (العالم بالقراءات، الذي رواها مشافهة بالتلقي من أهلها إلى أن يبلغ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلو حفظ كتاب التيسر في القراءات لأبي عمر الداني مثلا، فليس له أن يقرأ بما فيه إن لم يشافهة من شوفه به مسلسلا، لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة) [٨].

ذلك لأن القرآن الكريم نقل إلينا نصه ولفظه كما أنزله الله تعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفقا لما علمه جبريل عليه السلام ، وقد اختلف الرواة الناقلون في نقل هذه الكيفية، وكل منهم يعزز ما يرويه بإسناد

صحيح إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأصل هذا الاختلاف مرده إلى ما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من الأحرف السبعة، فكان صلى الله عليه وسلم يقرئ أصحابه بهذه الأحرف السبعة ، فيذهب كل واحد منهم وقد قرأ على الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقرأه الآخر فيروي وجوها من القراءات مختلفة، وهي كلها مما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم وأقرأه بها .

القراءات القرآنية :

أما بالنسبة لعدد القراءات السبع فلم ترد به السنة النبوية، وتوافقه مع عدد الأحرف السبع إنما جاء مصادفة، وليس تحقيقا، وعليه فكل قراءة غير السبع تحقق فيها ضوابط الصحة الثلاث تعتبر صحيحة ويعتد بها، قال ابن الجزري في أول كتابة "النشر في القراءات العشر": كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ويقول القراب في "الشاطي": التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين [٩].

القـــــراء:

نافع المدني :هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أصله من أصفهان، وتوفي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة.

ابن كثير: هو عبد الله بن كثير المكي . وهو من التابعين . وتوفي بمكة سنة عشرين ومائة .

أبو عمرو البصري: هو زيان بن العلاء بن عمار المازني البصري . وقيل اسمه يحيى، وقيل اسمه كنيته، وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة

ابن عامر الشامي: هو عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، ويكنى أبا عمران ، وهو من التابعين ، وتوفي بدمشق سنة ثمان عشرة ومائة " . عاصم الكوفي : هو عاصم بن أبي النجود، ويقال له ابن بهدلة ، ويكنى أبا بكر ، وهو من التابعين ، وتوفي بالكوفة سنة ثمان وعشرين ومائة.

حمزة الكوفي : هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الفرضي التيمي ، ويكنى أبا عمارة وتوفي بحلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ست وخمسين ومائة

الكسائي الكوفي :هو علي بن حمزة النحوي ، ويكنى أبا الحسن ، وقيل له الكسائي من أجل أنه أحرم في كساء – وتوفي " برنبوية " قرية من قرى الري حين توجه إلى خراسان مع الرشيد سنة تسع وثمانين ومائة .

أبو جعفر المدني: هو يزيد بن القعقاع، وتوفي بالمدينة سنة ثمان وعشرين ومائة.

يعقوب البصري : هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي ، وتوفي بالبصرة سنة خمس ومائتين.

خلف : هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي ، وتوفي سنة تسع وعشرين ومائتين [١٠] .

الـــــــرواة:

راويا نافع قالون ، وورش.

فأما قالون فهو عيسى بن مينا بالمد والقصر ، المدني معلم العربية

ويكنى أبا موسى. وقالون لقب له أيضا، يروى أن نافعا لقبه به لجودة قراءته؛ لأن قالون بلسان الروم جيد، وتوفي بالمدينة سنة عشرين ومائتين.

وأما ورش: فهو عثمان بن سعيد المصري، ويكنى أبا سعيد، وورش لقب له، لقب به فيما يقال لشدة بياضه، وتوفي بمصر سنة سبع وتسعين ومائة

راويا ابن كثير: البزي، وقنبل.

فأما البزي فهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المؤذن المكي، ويكنى أبا الحسن، وتوفي سنة خمسين ومائتين. وأما قنبل: فهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد المكي المخزومي، ويكنى أبا عمرو، ويلقب قنبلا، ويقال هم أهل بيت بمكة يعرفون بالقنابلة، وتوفي بمكة سنة إحدى وتسعين ومائتين. روى البزي وقنبل القراءة على ابن كثير باسناد.

راويا أبي عمرو : الدوري ، والسوسي.

فأما الدوري فهو أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري النحوي ، والدور موضع ببغداد ، توفي سنة ست وأربعين ومائتين . وأما السوسي فهو أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله السوسي ، توفي سنة إحدى وستين ومائتين ، رويا القراءة عن أبي محمد يحيى بن المبارك العدوي المعروف باليزيدي عنه .

راويا ابن عامر : هشام ، وابن ذكوان.

فأما هشام فهو هشام بن عمار بن نصير القاضي الدمشقي ، ويكنى أبا الوليد ، وتوفي بها سنة خمس وأربعين ومائتين . وأما ابن ذكوان فهو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الدمشقي ويكنى أبا عمرو ، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وتوفي بدمشق سنة اثنتين وأربعين ومائتين رويا القراءة عن ابن عامر باسناد.

راويا عاصم : شعبة، وحفص .

فأما شعبة فهو أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الكوفي ، وتوفي بالكوفة سنة ثلاث وتسعين ومائة . وأما حفص فهو حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز الكوفي ، ويكنى أبا عمرو ، وكان ثقة قال ابن معين : هو أقرأ من أبي بكر وتوفي سنة ثمانين ومائة.

راويا حمزة : خلف ، وخلاد

فأما خلف فهو خلف بن هشام البزار ، ويكنى أبا محمد ، وتوفي ببغداد سنة تسع وعشرين ومائتين . وأما خلاد فهو خلاد بن خالد ، ويقال ابن خليد الصيرفي الكوفي ، ويكنى أبا عيسى ، وتوفي بها سنة عشرين ومائتين . رويا القراءة عن أبي عيسى سليم بن عيسى الحنفي الكوفي عن حمزة.

راويا الكسائي : أبو الحارث ، وحفص الدوري .

فأما أبو الحارث فهو الليث بن خلد البغدادي ، توفي سنة أربعين ومائتين . وأما حفص الدوري فهو الراوي عن أبي عمرو ، وقد سبق ذكره

راويا أبي جعفر : ابن وردان ، وابن جماز:

فأما ابن وردان فهو أبو الحارث عيسى بن وردان المدني ، وتوفي بالمدينة في حدود الستين ومائة . وأما ابن جماز فهو أبو الربيع سليمان ابن **مسلم بن جماز المدني ، وتوفي بها بعيد السبعين ومائة .**

راويا يعقوب : رويس ، وروح:

فأما رويس فهو أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري، ورويس لقب له ، وتوفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين . وأما روح فهو أبو الحسن روح بن عبد المؤمن البصري النحوي ، وتوفي سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين

راويا خلف : إسحاق ، وإدريس .

فأما إسحاق فهو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان الوراق المروزي ثم البغدادي ، وتوفي سنة ست وثمانين ومائتين . وأما إدريس فهو أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم البغدادي الحداد ، وتوفي في يوم الأضحى سنة اثنتين وتسعين ومائتين. (١١)

علاقة القراءات بالقرآن الكريم :

يرى الإمام الزركشي أن (القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيتها، من تخفيف وتثقيل وغيرهما) (١٢) ولا يقصد التغاير التام بل بينهما ارتباط وثيق ولذا قال: (ولست في هذا أنكر تداخل القرآن بالقراءات، إذ لا بد أن يكون الارتباط بينهما وثيقا، غير أن الاختلاف على الرغم من هذا يظل موجودا بينهما، بمعنى أن كلا منهما شئ يختلف عن الآخر، لا يقوى التداخل بينهما على أن يجعلهما شيئا واحدا فما القرآن إلا التركيب واللفظ، وما القراءات إلا اللفظ ونطقه ، والفرق بين هذا وذاك واضح وبين) (١٣) وخالف الدكتور محمد سالم محيسن، الإمام الزركشي ورأى أن القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد، وأستند إلى أن القرآن مصدر مرادف للقراءة ، والقراءات جمع قراءة، فهما بمعنى واحد وأستند إلى الأحاديث التي ورد فيها نزول القرآن على سبعة أحرف ثم قال: (وكلها تدل دلالة واضحة على أنه لا فرق بين القرآن والقراءات، إذ كل منهما الوحي المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم) (١٤) .

أقول: والذي يظهر لي أن مجموع القراءات الصحيحة هي القرآن، وأما القراءة الواحدة بالنسبة للقرآن فهي مغايرة، لأنها جزء من كل ولا يمكن

أن ندعي كونهما حقيقة واحدة كما ذهب الدكتور محيسن لأن القرآن متواتر كله، وأما القراءات فمنها المتواتر ومنها الآحاد ومنها الشاذ، وأما استدلال محيسن بأن كلا منهما منزل، فليس في محله؛ لأن اتفاقهما في أن كلا منهما منزل، لا يلزم منه كونهما شيئا واحدا.

مصدر القراءات [١٥]:

ترجع القراءات إلى مصدر واحد لا ثاني له وهو الوحي، فقد كان جبريل عليه السلام يعلم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم بقراءاته، ثم يقوم النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم أصحابه القرآن الكريم موزعا عليهم القراءات كما تلقاها من جبريل عليه السلام، ولذا فليس لأحد من البشر مدخل في وجود القراءات، وإنما مرجعها إلى الوحي، وقد وردت أحاديث كثيرة من طرق متعددة بلغت حد التواتر تدل على أن مصدر القراءات هو الوحي.

وتتفق الأحاديث على قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)، ولهذا سنقف على بعض النصوص الخاصة بالأحرف السبعة.

المبحث الثاني

الأحرف السبعة

أولا : روايات أحاديث الأحرف السبعة وفائدتها:

لم يخل مؤلف من كتب السنة النبوية من رواية حديث الأحرف السبعة ، وتكفلت كتب بجمع الروايات ودراستها ، وقد اخترت منها بمقدار ما يتناسب مع موضوع بحثنا ما يأتي :

١ــ روى الإمام البخاري بإسناده إلى عروة، أن المسور بن مخرمة وعبد الله بن عبد القارئ ، حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول :(سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءاته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره [١٦] في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه [١٧]، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له: كذبت [١٨]، أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال: أرسله، اقرأ يا هشام، فقرأ القراءة التي سمعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ يا عمر، فقرأت التي أقرأني، فقال: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه) [١٩].

٢ــ روى مسلم بإسناده أن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ

سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ.فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية [٢٠]، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا، وكأني أنظر إلى الله فرقا ، فقال لي: يا أبي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثالثة أقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها، فقلت : اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم) [٢١].

٣ــ روى مسلم أيضا بإسناده إلى أبي بن كعب: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار [٢٢] قال: فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك[٢٣] القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك على ثلاثة أحرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا[٢٤].

٤ ــ وروى الترمذي بإسناده عن أبي بن كعب قال: (لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا جبريل، إني بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط قال: يا محمد، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف. قال الترمذي (هذا حديث حسن صحيح، روي من غير وجه عن أبي بن كعب)[٢٥] ورواه الطيالسي

وأحمد والطبري والطحاوي بلفظ: (لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المراء ...) [٢٦].

ثانيا : تواتر حديث الأحرف السبعة:

كان لحديث الأحرف السبعة الحظ الوافر في كتب السنة، فلم يخل كتاب من مصادر السنة منه بأسانيد متعددة كثيرة، ونظرا لأهمية هذا الحديث في تأصيل القراءات القرآنية قام علماء بجمع الروايات ودراستها [٢٧]، وبالنظر في هذه الروايات وطرقها نجد أنها بلغت درجة التواتر.

عدد رواته:

ذكر الترمذي عشر رواة من الصحابة لحديث الأحرف السبعة على سبيل المثال لا الحصر، فإنه بعد أن روى حديث أبي بن كعب رضي الله عنه الآنف الذكر قال: (وفي الباب عن عمر، وحذيفة بن اليمان، وأم أيوب (وهي زوجة أبي أيوب الأنصاري) وسمرة (يعني ابن جندب) وابن عباس وأبي هريرة، وأبي جهيم بن الحارث بن الصمة ، وعمرو بن العاص، وأبي بكرة [٢٨].

وقال العلامة ابن الجزري: (وقد تتبعت طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك، فرويناه من حديث: عمر بن الخطاب، وهشام بن حكيم بن حزام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وعبد الله بن عباس ، وأبي سعيد الخدري ، وحذيفة بن اليمان، وأبي بكرة، وعمرو بن العاص ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، وسمرة بن جندب ، وعمر بن أبي سلمة ، وأبي جهيم ، وأبي طلحة الأنصاري ، وأم أيوب الأنصارية ، رضي الله عنهم) [٢٩]. وهؤلاء عشرون صحابيا.

وقال الحافظ السيوطي :(ورد حديث نزول القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة) [٣٠] ثم عد واحدا وعشرين صحابيا، ممن ذكرهم بن الجزري وزاد سليمان بن صرد ، ووقع عنده (أبو أيوب) بدل أم أيوب وهو خطأ مطبعي ، أو سبق قلم من السيوطي رحمه الله تعالى.

وزاد المتأخرون بعد جمع الروايات زيد بن ثابت، وعبادة ابن الصامت، وبذلك بلغ عدد من روى الحديث من الصحابة ثلاثة وعشرين [٣١].

وطالما حكم العلماء بالتواتر على حديث عدد رواته ست أو عشر، فلأن يحكم على هذا الحديث بالتواتر من باب أولى ؛ لأنه مروي عن نيف وعشرين صحابيا، واستفاض بعدهم في رواة يؤمن تواطؤهم على الكذب، وروى عن الكثيرين منهم البخاري ومسلم وأصحاب السنن و المسانيد، وغيرهم [٣٢] .

وممن نص على تواتره الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، فإنه بعد أن أورد عشرا من روايات هذا الحديث قال: (وقد تواترت هذه الأحاديث) [٣٣].

وكذلك نص على تواتره أبو عمرو الداني، وابن القاصح [٣٤] ولكونه مسلما بتواتره جعله علماء مصطلح الحديث مثالا على الحديث المتواتر .

ثالثا : دلالة الأحاديث على أصول الموضوع:

دلت هذه الأحاديث على فوائد مهمة نوضحها فيما يأتي:

ا ــ تعين على النطق بألفاظ القرآن الكريم:

ليس تفسير القرآن وبيان معانيه، يدل على هذا قول عمر: (فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم). وكون هشام في الصلاة يؤكد هذا؛ لأن الصلاة ليست محل تفسير القرآن؛ إذ لا تصح به، فتعين أن خلافهما يرجع إلى كيفية التلاوة [٣٥].

وكذا قول أبي بن كعب: (فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عله، ثم دخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة ...) وهكذا باقي الروايات تدل بوضوح على أن الخلاف إنما هو في القراءة، لا في المعاني، وإن كانت المعاني قد تتعدد بتعدد القراءة ، كما في قوله تعالى: (ذو العرش المجيد) (البروج الآية ١٥) فقد قرئ برفع (المجيد) على أنه وصف لله عز وجل ، وقرئ بكسره على أنه وصف للعرش [٣٦].

٢ــ الأحرف السبعة موح بها للنبي صلى الله عليه وسلم :

وهي ليست من آثار لهجات العرب ، ولهذا فكل حرف منها قرآن منزل ، ويدل على هذا الروايات المتواترة كلمة (أنزل) التي نراها في الأحاديث المذكورة ، وعلى هذا يجب أن يفسر لفظ (أنزل) على حقيقته ، ولا يجوز تفسيره بمعنى آخر يفيد الترخيص والإباحة للعرب أن يقرؤوه بلهجاتهم، لأن هذا مجاز ، ولا ينصرف من الحقيقة إلى المجاز إلا عند تعذر الحقيقة ، والحقيقة هنا غير متعذرة.

٣ــ الأحرف السبعة سبعة على الحقيقة :

وليس بهذا يعد لفظ السبعة له دلالة على التكثير ورمزا للزيادة ، أو كما يقال من أن لفظ السبعة له ظلال خاصة في قيمته العددية ، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم ما زال يطلب من جبريل أن يزيده على الحرف الواحد أو الحرفين والثلاثة إلى أن وصل بها إلى الرقم سبعة، وهذا التدرج في العدد ينفي معنى التكثير ويعين السبعة على حقيقتها دون زيادة أو نقصان. ومن هنا يبدو جليا ضعف من أراد بذكر عدد السبع أن تكون للدلالة على التكثير [٣٧].

٤ ــ إنزال الأحرف السبعة للتخفيف على الأمة:

جاء ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فرددت عليه أن هون على أمتي ...) وقوله: (إن أمتي لا تطيق ذلك ...) وقوله : (يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين ...). ولما كانت قبائل العرب ذات لغات مختلفة يصعب على أحدهم الانتقال من لغة إلى أخرى خصوصا وهم قوم أميون ، طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم التخفيف عليهم في قراءة القرآن رفعا للحرج ، فحقق الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ذلك بنزول القرآن الكريم على سبعة أحرف فحصل التخفيف عبر أمرين:

أ / مراعاة لهجات القبائل العربية :

إن الأمية من صفات أمة النبي الأمي صلى الله عليه وسلم فهم لا يقرؤون ولا يكتبون وقد اعتادوا النطق بالألفاظ على هيئات معينة كل حسب لغة قبيلته، والخروج عن هذه العادة ليس أمرا يسيرا للمتعلمين، فكيف يكون بالنسبة للأميين؟ وهم بين عجوز وشيخ كبير، لا يمكن تقويم لسانهما ، فهم لا يستطيعون تغيير ما اعتادت عليه ألسنتهم ؟!, ولهذا قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: (يا جبريل؛ إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير ....).

فكان من تيسير الله تعالى أن أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقرئ كل قوم بلغتهم التي جرت عليها ألسنتهم: فالهذلي: يقرأ (عتى حين) يريد (حتى حين) أنه هكذا يقول بها في قبيلته، والتميمي: يهمز، والقرشي: لا يهمز، وغيرهم يقرأ: (وإذا قيل لهم) بإشمام الضم مع الكسر ...ألخ . ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه لسانه واعتياده لاشتد ذلك عليه، وصعب ذلك عليه، ولا يستطيع مجاراته إلا بعد معاناة ورياضة طويلة، فأراد الله تعالى رحمة منه ولطفا، أن يجعل لهم متسعا في

اللغات، ومتصرفا في الحركات كما يسر عليهم في دينه [٣٨] وتدرج بهم في أحكامه وتشريعاته .

ب / تقليل عدد الآيات:

إن الأحرف السبعة تفيد معان متعددة بإبدال كلمة مكان كلمة بأخرى أو حرف بآخر أو زيادة كلمة، أو اختلاف حركات الإعراب في الكلمة الواحدة، فتوفر على الأمة حفظ آيات كان يتوجب معرفتها وحفظها لو لم تنزل هذه القراءة عوضا عنها، ولهذا قال العلماء: تعدد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات.. وقد سبقت الإشارة إلى أنَّ هذه الأحرف السبعة هي بمثابة المترادفات السبعة للمعنى الواحد، وليست سبعة اختلافات متباينة أو متضادة .. فالخلاف هنا من جنس(الخلاف اللفظي) أو سَمِّهِ إنْ شئتَ (اختلاف التنوّع).. فليس اختلافًا حقيقيًّا أو اختلاف تضادٍّ.. وإنما اختلافًا لفظيًّا أو سمِّه اختلافَ تَنَوُّعٍ.

إذن فهي سبعة أوجهٍ متوافقة متوائمة من حيثُ المعنى، مختلفةً من حيثُ اللفظِ، يُستفاد منها في تقرير المعجزة بأكثرِ من لفظٍ عربيٍّ صحيحٍ، كما يستفاد منها التخفيف على قبائل العرب جميعًا بمخاطبتِها بلسانها الذي تقدر على النطق به، مع زيادة الإعجاز في المعجزة الواحدة ..فهي معجزاتٌ متعدِّدةٌ في صورةِ معجزةٍ واحدةٍ اسمها (القرآن الكريم) .

المبحث الثالث

مفهـــوم الحـــرف

معنى الحرف:

إذا كان حديث نزول القرآن على سبعة أحرف قطعي الثبـوت يفيـد العلم اليقيني الضروري عند من ذهب إلى أنـه متـواتر، أو العلـم اليقينـي النظري عند ابن الصلاح و غيره، فإنه ظني الدلالة للإجمال فـي الأحـرف السبعة، إذ لا يتعين المراد منها على وجه التحديد، و قبـل أن نـذكر آراء العلماء في المراد بالأحرف السبعة، فإنه يجدر بنا أن نعرف معنى الحـرف في اللغة، حتى يساعدنا هذا في بحث آراء العلماء على التنظير و الاختيار.

ولنبدأ بنصٍّ واضحٍ في المسألة، ثم نذهب إلى أقوال العلمـاء لنـرى الراجح منها في ذلك. رَوَى البخاريُّ من رواية عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَـالَ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ (الْفُرْقَانِ) فِي حَيَاةِ رَسُـولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِه، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَـمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكِـدْتُ أُسَـاوِرُهُ فِـي الـصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَـمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ :أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُـودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَـذَا يَقْـرَأُ بِـسُورَةِ (الْفُرْقَانِ) عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ ، أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ : فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُـولُ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قَالَ : اقْرَأْ يَا عُمَرُ فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُـرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ)(٤٠)

ولنُلْقِ نظرةً الآن على اختلاف الناس في ذلك، مع المعنى الراجح بأدلَّته إن شاء الله عز وجل.. بعد التعرف على المقصود بمعنى الحرف .

الحرف لغة :

قال ابن فارس [٤١]: " الحاء و الراء و الألف ، ثلاثة أصول : حد الشيء ، و العدول ، و تقدير الشيء " . ولها ثلاثة أصول :

الأصل الأول :

فأما الحد ، فحرف كل شيء حده ، كالسيف و غيره ، و منه الحرف، و هو الوجه ، تقول : هو من أمره على حرف واحد ، أي طريقة واحدة ، قال الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)(الحج : ١١) ، أي على وجه واحد ، و ذلك أن العبد يجب عليه طاعة ربه تعالى عن السراء و الضراء ، فإذا أطاعة عند السراء وعصاه عند الضراء ، فقد عبده على حرف .

الأصل الثاني :

الانحراف عن الشيء ، يقال: انحرف عنه ينحرف انحرافاً، و حرفته أنا عنه، أي عدلت به عنه، و لذلك يقال: مجارف، و ذلك إذا حورف كسبه فميل به عنه ، و ذلك كتحريف الكلام، و هو عدله عن جهته، قال تعالى: (مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً)(النساء : ٤٦)، و في المائدة : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ

مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّـهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (المائدة : ٤١) .

الأصل الثالث :

المحراف : حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج ... وزعم ناس أن المحارف من هذا ، كأنه قدر عليه رزقه كما تقدر الجراحة بالمحراف .

و من هذا الباب : فلان يحرف لعياله ، أي يكسب ، وذلك من حرف واحترف، أي كسب" [٤٢]. و الذي معنا هنا من الأصل الأول فيما ذكره ابن فارس. وهو الذي يوافق موضوعنا. و يقول الراغب في مفرداته [٤٣]: "حرف الشيء: طرفه، و جمعه أحرف و حروف، يقال : حرف السيف، و حرف السفينة ، و حرف الجبل، و حروف الهجاء: أطراف الكلمة. وفي القاموس المحيط : " الحرف من كل شيء طرفه ، وواحد حروف التهجي .. (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)(الحج: ١١) أي وجه واحد، و هو أن يعبده على السراء لا الضراء، أو على شك، أو على غير طمأنينة على أمره، أي لا يدخل في الدين متمكناً، و نزل القرآن على سبعة أحرف: سبع لغات من لغات العرب، و ليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، و إن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر، و لكن المعنى: إن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن.

و في لسان العرب لابن منظور: " الحرف من حروف الهجاء، معروف واحد حروف التهجي، و كل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفاً، تقول: هذا في حرف ابن مسعود، أي في قراءة ابن مسعود، قال ابن سيدة (علي بن إسماعيل): و الحرف : القراءة التي تقرأ على أوجه، و ما

جاء في الحديث من قوله عليه السلام: " نزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ " أراد بالحرف اللغة، قال أبو عبيدة و أبو العباس [٤٤] : نزل على سبع لغات من لغات العرب، قال: و ليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ، هذا لم يسمع به، قال: و لكن يقول هذه اللغات متفرقة في القرآن ، فبعضه بلغة قريش ، و بعضه بلغة أهل اليمن، و بعضه بلغة هوازن، و بعضه بلغة هذيل، و كذلك سائر اللغات ، و معانيها في هذا كله واحد، و قال غيره: و ليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، على أنه قد جاء في القرآن ما قد قرئ بسبعة و عشرة ، نحو : " ملك يوم الدين "، و" عبد الطاغوت " ، مما يبين ذلك قول ابن مسعود : إني قد سمعت القَرَأَةَ فوجدتهم متقاربين ، فاقرؤا كما علمتم ، إنما هو كقول أحدكم : هَلُمَ و تَعَالَ و أَقْبِلْ ، قال ابن الأثير [٤٥]: و فيه أقوال غير ذلك، هذا أحسنها ، و الحرف في الأصل : الطرف و الجانب ، و به سمى الحرف من حروف الهجاء [٤٦].

وروى الأزهري (محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي)، عن أبي العباس أنه سُئِلَ عن قوله : " نزل القرآن على سبعة أحرف " فقال: ما هي إلا لغات ، قال الأزهري : فأبو العباس النحوي، و هو واحد عصره ، قد ارتضى ما ذهب إليه أبو عبيد و استصوبه ... و إلى هذا أومأ أبو العباس النحوي و أبو بكر بن الأنباري (محمد ابن القاسم بن محمد بن بشار) في كتاب له ألفه في إتباع ما في المصحف الإمام، ووافقه على ذلك أبو بكر بن مجاهد (أحمد بن موسى بن العباس التميمي) مقرئ أهل العراق و غير ه من الإثبات المتقنين، قال: و لا يجوز عندي غير ما قالوا، و الله تعالى يوفقنا.

و قال ابن قتيبة: و الحرف يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم ، و على الكلمة الواحدة ، و يقع الحرف في الكلمة بأسرها ، و الخطبة كلها ، و القصيدة بكمالها .

ألا ترى أنهم يقولون: قال الشاعر كذا في كلمته ، يعنون : في قصيدته ، و الله جل و عز يقول: (يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْراً لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ (التوبة : ٧٤)، و قال: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)(الفتح : ٢٦)، [٤٧] و يتضح مما ذكر آنفاً ، أن الحرف يطلق حقيقة على أحد حروف التهجي، و يطلق مجازاً على كلمة من إطلاق الجزء و إرادة الكل ، مجاز مرسل علاقته الجزئية ، لان الكلمة تتركب من حروف، أو على اللغة، لأن ألفاظها تتكون من حروف ، أو على وجه من وجوه اللغة للاختلاف في طريقه النطق و كيفيته .

المبحث الرابع

الآراء المعتبرة في مفهوم الأحرف السبعة

لا يجدر بنا ونحن في هذا البحث المختصر أن نقف على كل الآراء التي أوردها الإمام السيوطي في الإتقان والتي بلغت الخمس والثلاثون من الآراء، بل وذكر ابن حيان أنها بلغت أربعين رأيا . ولكن حسبنا هنا أن نذكر الآراء المعتبرة في هذا البحث:

الرأي الأول:

ذهب كثير من العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة : سبع لغات من العرب في المعنى الواحد ، على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير عن معنى من المعان يأتي القرآن منزلا بألفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد ، حيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد أو أكثر ، فهي أوجه سبعة من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة ، بما يعرف بالاشتراك المعنوي ، أو الترادف اللفظي نحو : أقبل ، وهلم ، وتعال ، وأسرع ، وعجل .

وإلى هذا ذهب سفيان بن عيينة [٤٨] ، وعبد الله بن وهب [٤٩] ، وابن جرير الطبري[٥٠] ، والطحاوى [٥١] ، وغيرهم .فالأحرف السبعة لديهم أوجه من اللغات في المعنى الواحد ، بألفاظ مختلفة . ونسب ابن عبد البر [٥٢] هذا الرأي لأكثر العلماء .

قال أبو عمر: وأنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أنزل القرآن على سبعة أحرف) سبع لغات، وقالوا: هذا لا معنى له، لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الأمر، لأنه من كانت لغته شيئا قد جبل وطبع عليه وفطر به لم ينكر عليه، وأيضا فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي مكي، وقد

اختلفت قراءتهما ، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته ، كما محال أن يقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا منهما بغير ما يعرفه من لغته ، والأحاديث الصحاح المرفوعة كلها تدل على نحو ما يدل عليه حديث عمر هذا ، وقالوا : إنما معنى السبعة الأحرف سبعة أوجه من المعاني المتفقة المتقاربة بألفاظ مختلفة ، نحو : أقبل ، وتعال ، وهلم ، و على هذا أكثر أهل العلم) [٥٣] ثم ذكر الأحاديث في ذلك .

الرأي الثاني:

إن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن، على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم، فأكثره بلغة قريش، ومنه ما هو بلغة هذيل، أو ثقيف، أو هوازن، أو كنانة، أو تميم، أو اليمن، فهو يشتمل في مجموعة على اللغات السبع.

وهذا الرأي يختلف عن سابقه ، لأنه يعني أن الأحرف السبعة إنما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن ، لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة مع اتفاق المعاني .

وإلى هذا ذهب أبو عبيد [٥٤] و ثعلب [٥٥] و الزهري [٥٦] و آخرون، و اختاره ابن عطية [٥٧] و صححه البيهقي في الشعب .

قال أبو عبيد في كتاب " غريب الحديث " : " قوله : سبعة أحرف يعني سبع لغات من لغات العرب ، و ليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ، هذا لم نسمع به قط ، و لكن نقول : هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن ، فبعضه نزل بلغة قريش ، و بعضه نزل بلغة هوازن ، و بعضه بلغة هذيل ، و بعضه بلغة أهل اليمن و كذلك سائر اللغات ، و معانيها في هذا كله واحد " [٥٨] .

و قال في كتاب " فضائل القرآن " : " و ليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه ، هذا شيء غير موجود ، و لكنه عندنا أنه نزل على سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب ، فيكون الحرف منها بلغة قبيلة ، و الثاني بلغة أخرى سوى الأولى ، و الثالث بلغة أخرى سواهما ، كذلك إلى سبعة ، و بعض ألأحياء أسعد بها و أكثر حظاً فيها من بعض ، و ذلك بين في أحاديث تترى " .

و قال ابن عطية : معنى قول النبي ﷺ : " أنزل القرآن على سبعة أحرف " : أي فيه عبارة سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن ، فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ، و مرة بعبارة هذيل ، و مرة بغير ذلك بحسب الأفصح و الأوجز في اللفظ ، ألا ترى أن " فطر " معناه عند غير قريش ابتدأ ، فجاءت في القرآن فلم تتجه لا بن عباس ، حتى اختصم إليه أعرابيان في بئر ، فقال أحداهما : أنا فطرتها ، قال ابن عباس : ففهمت حينئذ موضع قوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(فاطر : ١) ، و قال أيضاً : ما كنت أدري معنى قوله تعالى (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)(الأعراف : ٨٩) حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها : تعال أفاتحك ، أي أحاكمك، و كذلك قال عمر بن الخطاب ، و كان لا يفهم معنى قوله تعالى : (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)(النحل : ٤٧) :

أي على تنقص لهم ، و كذلك اتفق لقطبة بن مالك ، إذ سمع النبي ﷺ يقرأ في الصلاة : (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ)(قـ: ١٠) ذكره مسلم في باب القراءة في صلاة الفجر ، إلى غير ذلك من الأمثلة " (٥٩).

ووردت روايات محتملة للرأيين السابقين: الأول و الثاني لما فيها من إجمال. فعن على بن أبي طالب رضي الله عنه (٦٠)، و ابن عباس (٦١) رضي الله عنهما قالا : نزل القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب.

و في رواية عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقرئ الناس بلغة واحدة، فاشتد ذلك عليهم، فنزل جبريل فقال: "يا محمد؛ أقرئ كل قوم بلغتهم" (٦٢).

فهذا يفيد نزول القرآن باللغات المعروفة عند العرب ، ولا يتبين من ذلك ما إذا كان المراد نزول القرآن بهذه اللغات في المعنى الواحد حيث يكون هناك اختلاف في اللفظ ــ و هو الرأي الأول ــ أو كان المراد نزول القرآن في مجموعة بهذه اللغات ، فلا تخرج كلماته عنها ــ و هو الرأي الثاني .

و قد علق ابن حجر(٦٣) في " الفتح " على أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف تعليقاً مجملاً فقال : " و هذه الأحاديث تقوي أن المراد بالأحرف اللغات ، أو القراءات ، أي أنزل القرآن على سبع لغات أو قراءات ، و الأحرف جمع حرف ، مثل : فلس و أفلس ، فعلى الأول يكون المعنى على سبعة أوجه من اللغات لأن أحد معاني الحرف في اللغة الوجه ، كقوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) (الحج : ١١). و على الثاني يكون المراد من إطلاق الحرف على الكلمة مجازاً لكونه بعضها (٦٤).

ولعل الحافظ ابن حجر في هذا يشير إلى الرأيين السابقين، و يعبر عن الرأي الأول بقوله: " سبعة أوجه من اللغات " كأنه يعني اتفاقها في المعنى و إن اختلفت الألفاظ، و يعبر عن الرأي الثاني بالقراءات، باعتبارها كلمات متفرقة من لغات سبع، فيكون إطلاق الحرف على كل كلمة منها على سبيل المجاز، من إطلاق الجزء و إرادة الكل.

المبحث الخامس
الاختلاف في الأحرف السبعة

وقد اختلف الناسُ في بيان الأحرف السبعة اختلافًا عظيمًا :فأوصلها بعضهم إلى خمسةٍ وثلاثين قولاً، كما نُقِلَ هذا عن ابن حبان، نقله ابن الجوزي [٦٥]، والقرطبي[٦٦]، والسيوطي[٦٧] وغيره .ولَمَّا أشارَ ابنُ حجرٍ [٦٨] إلى كلام ابن حبان؛ قال ابن حجرٍ: (وقال الْمُنْذِرِيُّ: أكثرُها غيرُ مختارٍ).

ونقَّح ابنُ الجوزي الأقوال فاختار منها أربعة عشر قولاً، بينما اختار غيره عشرة أو سبعة أو ستةً...وأحجمَ بعضهم عن الكلام في المسألة، وزعم أنها من المتشابه أو المشكل.وسنقتصر، هنا على أشهرِ الأقوال في المسألةِ، وبعد البحث والتمحيص وردِّ النَّظير إلى نظيره: رأيتُ أن أشهر الأقوال في المسألة: قول أبي عبيد ومَنْ معه القائلين بأن المراد بالأحرفِ هنا اللغات، والقول الثاني: قول مَنْ قال: إنَّ المراد بالأحرفِ السبعة في الحديث تأدية المعنى باللفظِ المرادف ولو كان مِنْ لغةٍ واحدةٍ.

وهذا المشهور في المسألةِ، عند تحرير الأقوال وتمحيصها، وما سواه فعلى نوعين:

النوع الأول:

فإما لا عبرة به كقولِ مَنْ قال: إن المقصود بها الخلاف في الحلال والحرام؛ وهذا من أبطلِ الباطلِ، وسيأتي تزييف أبي عبيدٍ له، وقد زَيَّفَه أيضًا أحمد بن أبي عمران فيما رواه الطحاوي عنه، وقال: وهو كما قال، نقل ابن عبد البر[٦٩] ذلك عن ابن أبي عمران والطحاوي وأَيَّدَهما.

والنوع الثاني :

يرجع إلى ما سبق عند التمحيص والتحريرِ، كقول مَنْ يقول: المراد بالأحرفِ: التصريف، أو الجمع والتوحيد، أو التذكير والتأنيث، ونحو هذا مما حكاه ابن حبان وابن الجوزي والقرطبي والسيوطي وغيرهم.

ووقع ذلك أيضًا في كلام ابن قتيبة، الذي لَخَّصَ الرازي معناه، وزاد عليه، ثم انتصر له الزرقاني في آخر أمره في كتاب ((مناهل العرفان.

وعبارة الرازي في (اللوائح) في الوجه الأول مثلاً: (اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث)، وهذا الذي ذَكَرَهُ الرَّازِيُّ وجهًا واحدًا ذَكَرَهُ ابن الجوزي تبعًا لابن حبان مثلاً وجهين..

وهكذا أكثر الوجوه التي ذكرها البعض وجهين وثلاثة، جمعها غيرهم في وجهٍ، وهذه إحدى أسباب الاختلاف في وجوه الأحرف السَّبْعَةِ بين ظاهر كلام العلماء، والتي يمكن عند التمحيص والتحرير أن نجمع بين كثيرٍ منها، ونزيل عنها إشكال وجود الخلاف فيما بينها.

ومِنْ جهةٍ أخرى، فقد ذكر الرازي وغيره أشياءً بألفاظٍ ذكرها غيرهم بألفاظٍ أخرى، وبإمكاننا إرجاع كلامه المذكور، والذي هو تنقيحٌ لكلام ابن قتيبة كما ذكر ابن حجر، (بل وزاد عليه النصّ على اللهجات)، يمكننا إرجاع الكلام المذكور إلى القول الثاني السابق في أَنَّ المراد بالأحرف السبعة تأدية المعنى باللفظ المرادف حتى وإن كان مِن لغةٍ واحدةٍ،) وسيأتي.

وبهذا يمكن الجمع بين الأقوال التي ظاهرها الاختلاف، وطرح ما يخالف الصواب، لتعود الأقوال بعد ذلك إلى ما قرَّرَهُ أهل اللغة العارفين بها، والتي بها نزل القرآن، وهي التي بها يُفْهَمُ نصوص الإسلام الواردة.

ولذا سأقتصر على القولين السابقين، وأنظر فيهما لاستخلاص الراجح منهما بأدلَّتِه إن شاء الله تعالى كالتالي :

القول الأول :

قول أبي عبيدة ومَنْ معه في أنَّ المقصود بالأحرفِ في الحديث : اللغات. ولو رجعنا إلى مادة (حرف) من كتب اللغة، فسنجد المراد بالأحرف السبعة: سبع لغاتٍ من لغات العرب، وإلى هذا ذهب أبو عبيد في كتاب (الغريب) (٧٠) .

فقال أبو عبيدٍ بعد أنْ ذَكَرَ اختلافَ الْقَرَأَة من الصحابة في بعض الحروف، وعرضهم ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر نزول القرآن على سبعة أحرُفٍ، (وقد مضى حديث اختلاف عُمَر وهشام في هذا)؛ قال أبو عبيد عقب ذلك: (فهذا يُبَيِّنُ لك أنَّ الاختلافَ إنَّما هو في اللَّفْظِ، والمعنى واحدٌ، ولو كان الاختلاف في الحلالِ والحرام لما جازَ أنْ يُقال في شيءٍ هو حرامٌ: هكذا نزلَ، ثم يقول آخر في ذلك بعينه: إنَّه حلالٌ فيقول: هكذا نزلَ، وكذلك الأمر والنهي; وكذلك الأخبار لا يجوز أنْ يُقال في خَبَرٍ قد مضى: إنَّه كان كذا وكذا فيقول: هكذا نزل، ثم يقول الآخر بخلاف ذلك الخبر فيقول: هكذا نزل ;وكذلك الخبر المستأنف؛ كخبر القيامة والجنة والنار، ومَنْ تَوَهَّمَ أنَّ في هذا شيئًا مِن الاختلافِ فَقَدَ زَعَمَ أنَّ القرآنَ يُكَذِّبُ بعضُه بعضًا ويتناقض، وليس يكون المعنى في السبعة الأحرف إلا على اللغات لا غير، بِمَعْنًى واحدٍ لا يُخْتَلَفُ فيه في حلالٍ ولا حرامٍ ولا خَبَرٍ ولا غير ذلك) .

وقد ذكر أبو عبيد وعنه ابن الأثير وغيرهما نحو هذا المعنى في مادة (مرر) أيضًا، وتُراجع من (الغريب) لأبي عبيد، و(النهاية) لابن الأثير، و(اللسان) لابن منظور. وإلى هذا ذهبَ أبو العباس النحوي، وقال الأزهري: ((فأبو العباس النحْويّ –وهو واحد عصرْه– قد ارتضى ما ذهبَ إليه أبو عبيد واستصوبَه، قال: وهذه السبعة أحْرُفٍ –التي معناها اللغات– غير خارجةٍ مِن الذي كُتِبَ في مصاحفِ المسلمين التي اجتمع عليها السلَف

المرضيُّون والخَلَف المتبعون، فمن قرأ بحرف ولا يُخالفُ المصحف بزيادةٍ أو نقصان أو تقديم مؤخّرٍ أو تأخير مُقَدَّم وقد قرأ به إمامٌ من أئمةِ القُرّاء المشتهرين في الأمصار فقد قرأ بحرفٍ من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها، ومن قرأ بحرفٍ شاذٍّ يخالف المصحف وخالف في ذلك جمهور القرّاء المعروفين فهو غير مصيبٍ، وهذا مذهب أهل العلم الذين هم القُدوة ومذهب الراسخين في علم القرآن قديماً وحديثاً، وإلى هذا أَوْمأَ أبو العباس النحوي وأبو بكر بن الأنباري في كتابٍ له أَلَّفَهُ في اتِّباع ما في المصحف الإمام، ووافقه على ذلك أبو بكر بن مجاهد مُقْرِئ أهل العراق وغيره من الأثبات المتْقِنين، قال: ولا يجوز عندي غير ما قالوا، واللّه تعالى يوفقنا للاتباع ويجنبنا الابتداع) .

وإلى هذا ذهبَ ابنُ الأثير في مادة (حرفٍ) أيضًا من كتابه (النهاية)، وقال: وفيه أقوال غير ذلك هذا أحسنها . وعبارة القاموس المحيط : (ونَزَلَ القُرْآنُ على سَبْعَةِ أحْرُفٍ: سَبْعِ لُغاتٍ من لُغاتِ العَرَبِ، ولَيْسَ مَعْنَاهُ أن يكونَ في الحَرْفِ الواحدِ سَبْعَةُ أوْجُهٍ وإنْ جاءَ على سَبْعَةٍ أو عَشَرَةٍ أو أكْثَرَ؛ ولكنِ المَعْنَى: هذهِ اللُّغاتُ السَّبْعُ مُتَفَرِّقَةٌ في القُرْآنِ) .

وإلى هذا القولِ ذهب أيضًا: ابن عطيَّة، والطبري [٧١] وابن الجوزي [٧٢]، وغيرهم. فالمراد بالحديث على هذا القول: (أُنْزِلَ القرآنُ على سبعِ لغاتٍ)، وهو الوجه الرابع عشر والأخير عند ابن الجوزي في (فنون الأفنان) ذَكَرَهُ ابن الجوزي ثم قال: (وهذا هو القول الصحيح، وما قبلهُ لا يثبُت عند السَّبْكِ، وهذا اختيارُ ثَعْلَب وابن جرير).

لكن اختلف أصحاب هذا القول في اللغات المقصودة هنا على التعيين، فقيل: لغة لقريشٍ ولغة لليمن ولغة لتميم ولغة لجُرْهُم ولغة لهوازن ولغة لقُضاعة ولغة لطَيٍّ.. وقيل غير ذلك.

قال ابن الجوزي: (والذي نراه أنَّ التعيين من اللغات على شيءٍ بعينه لا يصح لنا سنده، ولا يثبت عند جهابذةِ النَّقْلِ طريقه؛ بل نقولُ: نزلَ القرآن على سبعِ لغاتٍ فصيحةٍ مِنْ لغات العرب، وكان بعض مشايخنا يقول :كله بلغة قريشٍ، وهي تشتمل على أصولٍ من القبائل هم أرباب الفصاحة، وما يخرج عن لغة قريشٍ في الأصل لم يخرج عن لغتِها في الاختيار) .

وعلى هذا القول عِدَّة إشكالات، منها :أنَّه لم يحصر لغات العرب التي فوق السبعة؛ لأنَّ لغات العرب أكثر مِن سبعةٍ؛ ولكنهم أجابوا بأنَّ المراد هنا مِن لغات العرب أفصحها.

لكنَّ أقوى الإشكالات على هذا القول أنه مخالفٌ لظاهر الحديث السابق؛ لأن كلا المختلفين هنا (وهما عُمَر وهشام رضي الله عنهما) كان يقْرَأُ بلغةِ قريشٍ، فلا وجه هنا لِمَنْ يقول: إن المراد بالأحرف السبعة: سبع لغات.

ومِمَّا يرد هذا القول أيضًا: ما ثبتَ قطعيًّا مِنْ حرْقِ عثمان رضي الله عنه للمصاحف بعد نسخ المصحف الإمام، المعروف والمتداول باسم المصحف العثماني، وقد نَسَخَ منه عثمان رضي الله عنه نسخًا وأرسلها إلى الأقطار الإسلامية، دون خلافٍ بينها، وقد ثبتَ قطعيًّا أمْر عثمان رضي الله عنه لزيد بن ثابتٍ ومَنْ معه مِنْ كَتَبَةِ المصحف العثماني أن يكتبوه بلغة قريشٍ فإنما نزل بها القرآن، (وقد مضى ذلك في مداخلة سابقة في الموضوع عن عثمان رضي الله عنه، ولعلي أعيده ثانية في مداخلة لاحقة.

وعُلِمَ قطعيًّا (كما سبق) مِنْ قولِ عثمان رضي الله عنه أنَّه لم يُغَيِّر شيئًا في القرآن من مكانه؛ إذْ قد التزم الواردَ المسموع مِن لفظِ النبي صلى الله عليه وسلم، ونسخَ منهالمصحفَ العثماني المعروف بالمصحف الإمام، فَعُلِمَ مِنْ ذلك أن الأحرف السَّبْعَةِ المذكورة في الحديث لابد وأنْ تكون

موجودةً في لغة قريشٍ نفسها..

قال ابن حجرٍ في (فتح الباري): (وقال أبو حاتم السِّجِسْتَانِيُّ: نَزَلَ بلغة قُرَيْش وَهُذَيْل وَتَيْم الرَّبَاب وَالأَزْد وَرَبِيعَة وَهَوَازِن وَسَعْد بْن بَكْر وَاسْتَنْكَرَهُ ابْنُ قُتَيْبَة وَاحْتَجَّ بقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ} فعلى هذا فتكون اللُّغَات السَّبْع في بُطُون قُرَيْش, وبذلكَ جَزَمَ أبو عليٍّ الأَهْوَازِيّ.

وقال ابن حجر: (ومِنْ ثَمَّ أَنْكَرَ عُمَر على ابن مسعود قراءَته (عَتَّى حِين) أَيْ: (حَتَّى حِين) وكتبَ إليه: إِنَّ القرآن لم ينزل بلغةِ هُذَيْل فَأَقْرِئِ النَّاس بلغةِ قُرَيْش ولا تُقْرِئهُمْ بلغة هُذَيْل)[٧٤] .

ولكن خالف ابنُ قتيبة –كما نقل ابن حجرٍ عنه– في أول (تفسير الْمُشْكِل) له فقال: (كان من تيسير الله أَنْ أمر نَبِيَّه أَنْ يَقْرَأ كُلُّ قَوْمٍ بلغتهم, فَالْهُذَلِيّ يَقْرَأ (عَتَّى حِين (يُرِيد {حَتَّى حِين}، وَالأَسَدِيّ يَقْرَأ (تِعْلَمُونَ) بِكَسْرِ أَوَّله ,وَالتَّمِيمِيُّ يَهْمِز، وَالْقُرَشِيّ لا يَهْمِز)). قال ابن قتيبة: ((ولو أراد كلُّ فريقٍ منهم أن يزول عن لُغته وما جرى عليه لسانُه طفلاً وناشئًا وكهلاً لَشَقَّ عليه غاية المشقَّة، فَيَسَّرَ عليهم ذلك بمَنِّه, ولو كان المراد أَنَّ كلَّ كلمة منه تُقْرَأ على سبعةِ أوجُهٍ لقال مثلاً: (أُنْزِلَ سَبْعَة أَحْرُف وَإِنَّمَا المراد أَنْ يَأْتِي في الكلمة وجهٌ أو وجهانِ أو ثلاثة أو أكثر إلى سبعةٍ من الوجوه) .

وقال ابن عبد البر في (كتابه التمهيد) : (قول من قال أن القرآن نزل بلغة قريش معناه عندي :في الأغلب والله أعلم؛ لأن غير لغة قريش موجودة في صحيح القرآت من تحقيق الهمزات ونحوها وقريش لا تهمز[٧٥] .

ولكن إذا كان هو الأغلب كما يقرر ابن عبد البر فالحكم للأغلب، والنادر لا حُكم له، فلا إشكال في وجود بعض الكلمات بغير لغة قريشٍ؛ لأنها ليست الأصل فيه، ولا غالبة عليه ..

وما ذهب إليه عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، هو الموافق لعمل عثمان رضي الله عنه الذي أجمع عليه الصحابةُ فيما بَعْدُ، بل أجمعتْ عليه الأمة قاطبةً.

ولذا قال ابن عبد البر في [٧٦]: (وأنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أُنْزِلَ القرآن على سبعة أحرف): سبع لغاتٍ، وقالوا: هذا لا معنى له؛ لأنه لو كان ذلك لم يُنْكر القوم في أولِ الأمر بعضهم على بعضٍ؛ لأنه من كانت لغته شيئًا قد جبل وطبع عليه وفطر به لم يُنْكَر عليه، وفي حديث مالكٍ عن ابن شهابٍ المذكور في هذا الباب [وهو الحديث السابق في اختلاف عُمَر وهشام] رَدُّ قولِ مَن قالَ: سبع لغاتٍ؛ لأن عمر بن الخطاب قرشي عدوي وهشام بن حكيم بن حزام قرشي أسدي، ومُحَال أنْ يُنكر عليه عُمر لغتَه؛ كما محال أن يُقْرِئَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم واحدًا منهما بغيرِ ما يعرفه من لُغَتِه، والأحاديث الصحاح المرفوعة كلها تدلّ على نحوِ ما يدل عليه حديثُ عُمَرَ هذا، وقالوا: إنما معنى السبعة الأحرف: سبعة أوجهٍ من المعاني المتفقة المتقاربة بألفاظٍ مختلفةٍ؛ نحو: أَقْبِلْ وتَعَالَ وهَلُمَّ، وعلى هذا الكثير مِنْ أهلِ العلمِ. وذكر ابن عبد البر بعض الروايات ثم قال: (وهذا كله يعضد قول مَن قال: إنَّ معنى السبعة الأحرف المذكورة في الحديث: سبعة أوجهٍ من الكلام المتفق معناه، المختلف لفظه؛ نحو: هَلُمَّ وتَعَالَ وَعَجِّلْ وَأَسْرِعْ وأَنْظِرْ وَأَخِّر، ونحو ذلك، وسنورد من الآثار وأقوال علماء الأمصار في هذا الباب ما يتبين لك به أنَّ ما اخترناه هو الصواب فيه إن شاء الله، فإنه أصح من قول من قال: سبع لغات مفترقات؛ لما قدمنا ذكره، ولما هو موجود في القرآن بإجماعٍ من كثرةِ اللغات المفترقات فيه.

القول الثاني:

قولُ مَنْ قال: المراد بالأحرفِ السبعةِ تأدية المعنى باللفظ المرادف ولو كان من لغةٍ واحدةٍ :فلننظر قول عمر: (فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فهو قد عَرِف الحروف بمجرد سماعه لها، وعَبَّرَ عنها بالحروفِ، كما عَبَّر الحديث بالأحرف السبعةِ، فلزم علينا أنْ نفهمَ المراد بالحروف من خلال لغة العرب الفصيحة الواضحة الظاهرة التي تكلمت بها نصوص الإسلام، مع الالتزام بظاهر لغة العرب دون تأويلٍ؛ إلا لقرينةٍ تُخرِجنا من الظاهر الصريح الواضح إلى غيره ..لأنَّه لابد وأنْ نرجع إلى اللغة التي نزل بها النص عندما لا نجد تفسيرًا للنصِّ من خلال النصِّ، ففي عدم التفسير إحالةٌ على المعهود المعروف من لغةِ العرب، وهي التي فَهِم منها عُمَرُ رضي الله عنه معنى الأحرف السبعة الموجودة في الحديث؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد خاطبَ بها عُمر وغيره، ولم يُفَسِّر المراد من الأحرف السبعة؛ فدلَّ ذلك على أنَها كانت معروفة ومفهومة لديهم من لُغَة العرب الظاهرة الواضحة..

وهذا يؤكد أنها ليست هي (سبع لغات) كما سبق في القول الأول؛ لأن تأويلها بـ (سبع لغات) خروجٌ عن ظاهر اللفظ لغةً إلى معنًى آخر يحتاج في إثباته إلى قرينة، ولا قرينة هنا تؤيِّد الخروج عن الظاهر إلى التأويل، كما ترى؛ لأنَّ كلا الْمُخْتَلِفَيْن هنا (عُمر وهشام) كانا يتبعان لغةً واحدةً، وقد نَبَّه على ذلك ابنُ عبد البر وغيره..

إذن ما المراد بالحرف هنا ؟:

المراد بالحرفِ هنا: القِراءة التي تُقرأُ على أَوجُه، هذا ما نجده في لغةِ العرب، مختصًّا بموضوعنا، ويُطلق الحرف أيضًا على الجهةِ والطَّرَف، كما يطلق على حَرْفِ الهجاء المعروف، وله إطلاقات أخرى، لكن الذي يهمنا

هنا معناه الخاص بموضوعنا في الأحرف السَّبْعة. قال الخليل بن أحمد: معنى قوله سبعة أحرفٍ :سبع قراءات. والحرف هاهنا القراءة)؛ نقَلَهُ ابنُ عبد البر في[٧٦]. وحكى ابنُ منظور في مادة (حرف) هذا المعنى عن ابن سيدة أيضًا. وقال الأزهري: ((وكلُّ كلمة تُقْرَأُ على الوجوه من القرآن تُسَمَّى حَرْفاً، تقول: هذا في حَرْف ابن مسعود؛ أي: في قراءة ابن مسعود) .

وأما قوله: (نزل القرآن على سبعة أحرفٍ) فأحسنُ الأقوال أنها وجوه القراءة التي اختارها القُراء، ومنه فلان يقرأُ بحرفِ ابنِ مسعود [٧٧] . قال ابن حجر: قَوْله : (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ)؛ أَيْ: مِنْ الْمُنْزَل. وَفِيهِ إِشَارَة إِلَى الْحِكْمَة فِي التَّعَدُّد الْمَذْكُور, وَأَنَّهُ لِلتَّيْسِيرِ عَلَى الْقَارِئ, وَهَذَا يُقَوِّي قَوْل مَنْ قَالَ: الْمُرَاد بِالأَحْرُفِ تَأْدِيَة الْمَعْنَى بِاللَّفْظِ الْمُرَادِف وَلَوْ كَانَ مِنْ لُغَة وَاحِدَة؛ لأَنَّ لُغَة هِشَام بِلِسَانِ قُرَيْش وَكَذَلِكَ عُمَر, وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ اِخْتَلَفَتْ قِرَاءَتهمَا. نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ اِبْن عَبْد الْبَرّ, وَنَقَلَ عَنْ أَكْثَر أَهْل الْعِلْم أَنَّ هَذَا هُوَ الْمُرَاد بِالْأَحْرُفِ السَّبْعَة ، وقد مضى كلام ابن عبد البر بنصِّه قبل قليل في التعقيب على القول السابق، فلا داعي لإعادته هنا.

وإلى هذا ذهب الطحاوي وغيره أيضًا كما مضى.

ومما يُبَيِّن ذلك: قول ابن مسعود:

(إِنِّي قد سمعتُ الْقَرَأَةَ فوجدتُهم متقاربين فاقرأُوا كما عُلِّمْتُمْ، إنما هو كقولِ أَحدِكم: هَلُمَّ وتَعَالَ وأَقْبِلْ وقولُ ابن مسعودٍ هذا ذكره ابن حجر وغيره مُعَلَّقًا بدون إسناد، وقد أسندهُ الطبري في (التفسير)، وغيره، بإسنادٍ صحيحٍ عنه .

وهذا القول يوافق ظاهر الحديث السابق في قصة عُمَر مع هشام رضي الله عنهما، واختلافهما في القراءة، رغم أنهما يتبعان لغةً واحدةً، وكذا ينتظم أكثر الأقوال الأخرى، ولا يعارضها، لأنَّ اللفظ المرادف الدالَّ على المعنى مع اختلاف اللفظ: ينتظم الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث والتصريف

والإعراب وغير ذلك من الوجوه التي ذكرها جماعةٌ من العلماء، فترجع إليه عدة أقوالٍ من أقوال العلماء في هذا الباب. ومِمَّا يمكن إرجاعه له مثلاً: قول ابن قتيبة، ثم تنقيح الرازي له وزيادته عليه، وهو الرأي الذي انتصر له الزرقاني في (المناهل)، وقد ذكره ابن حجر بشيءٍ من التعقيب، فأردتُ أن أنقله من عنده.

قال ابن حجر: (وَقَدْ حَمَلَ ابْن قُتَيْبَة وَغَيْره الْعَدَد الْمَذْكُور عَلَى الْوُجُوه الَّتِي يَقَع بِهَا التَّغَايُر فِي سَبْعَة أَشْيَاء: الأَوَّل: مَا تَتَغَيَّر حَرَكَته وَلا يَزُول مَعْنَاهُ وَلا صُورَته ,مِثْل: {وَلا يُضَارّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيد} بِنَصْبِ الرَّاء وَرَفْعهَا .الثَّانِي: مَا يَتَغَيَّر بِتَغَيُّرِ الْفِعْل مِثْل: (بَعِّدَ بَيْن أَسْفَارنَا (وَ {بَاعِدْ بَيْن أَسْفَارنَا} بِصِيغَةِ الطَّلَب وَالْفِعْل الْمَاضِي .الثَّالِث: مَا يَتَغَيَّر بِنَقْطِ بَعْض الْحُرُوف الْمُهْمَلَة مِثْل: (ثُمَّ نُنْشِرُهَا) بِالرَّاءِ وَالزَّاي. الرَّابِع: مَا يَتَغَيَّر بِإِبْدَالِ حَرْف قَرِيب مِنْ مَخْرَج الْآخَر مِثْل: {طَلْح مَنْضُود}، فِي قِرَاءَة عَلِيٍّ) :وَطَلْع مَنْضُود). الْخَامِس: مَا يَتَغَيَّر بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِير مِثْل: {وَجَاءَتْ سَكْرَة الْمَوْت بِالْحَقِّ}، فِي قِرَاءَة أَبِي بَكْر الصِّدِّيق وَطَلْحَة بْن مُصَرِّف وَزَيْن الْعَابِدِينَ: (وَجَاءَتْ سَكْرَة الْحَقّ بِالْمَوْتِ). السَّادِس: مَا يَتَغَيَّر بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَان كَمَا تَقَدَّمَ فِي التَّفْسِير عَنْ ابْنِ مَسْعُود وَأَبِي الدَّرْدَاء: (وَاللَّيْل إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَار إِذَا تَجَلَّى وَالذَّكَر وَالْأُنْثَى)، هَذَا فِي النُّقْصَان, وَأَمَّا فِي الزِّيَادَة: فَكَمَا تَقَدَّمَ فِي تَفْسِير {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَب}، فِي حَدِيث ابْنِ عَبَّاس: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتك الْأَقْرَبِينَ, وَرَهْطك مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ). السَّابِع: مَا يَتَغَيَّر بِإِبْدَالِ كَلِمَة بِكَلِمَةٍ تُرَادفهَا مِثْل: {الْعِهْن الْمَنْفُوش}، فِي قِرَاءَة ابْنِ مَسْعُود وَسَعِيد بْن جُبَيْر: (كَالصُّوفِ الْمَنْفُوش).

وَهَذَا وَجْهٌ حَسَن؛ لَكِنْ اِسْتَبْعَدَهُ قَاسِم بْن ثَابِت فِي (الدَّلَائِل)؛ لِكَوْنِ الرُّخْصَة فِي الْقِرَاءَات إِنَّمَا وَقَعَتْ وَأَكْثَرهمْ يَوْمَئِذ لا يَكْتُب وَلا يَعْرِف الرَّسْم, وَإِنَّمَا كَانُوا يَعْرِفُونَ الْحُرُوف بِمَخَارِجِهَا. قَالَ: وَأَمَّا مَا وُجِدَ مِنْ الْحُرُوف

الْمُتَبَايِنَة الْمَخْرَج الْمُتَّفِقَة الصُّورَة مِثْل: (نُنْشِرُهَا) وَ) نُنْشِرُهَا) فَإِنَّ السَّبَب فِي ذَلِكَ تَقَارُب مَعَانِيهَا, وَاتِّفَاق تَشَابُه صُورَتهَا فِي الْخَطّ.

قُلْت [القائل ابن حجر]: وَلا يَلْزَم مِنْ ذَلِكَ تَوْهِين مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ قُتَيْبَة, لاحْتِمَال أَنْ يَكُونَ الانْحِصَار الْمَذْكُور فِي ذَلِكَ وَقَعَ اتِّفَاقًا, وَإِنَّمَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ بِالاسْتِقْرَاءِ, وَفِي ذَلِكَ مِنْ الْحِكْمَة الْبَالِغَة مَا لا يَخْفَى. وَقَالَ أَبُو الْفَضْل الرَّازِيُّ: الْكَلام لا يَخْرُج عَنْ سَبْعَة أَوْجُه فِي الاخْتِلاف: الأَوَّل: اخْتِلاف الأَسْمَاء مِنْ إِفْرَاد وَتَثْنِيَة وَجَمْع أَوْ تَذْكِير وَتَأْنِيث. الثَّانِي: اخْتِلاف تَصْرِيف الأَفْعَال مِنْ مَاضٍ وَمُضَارِع وَأَمْر, الثَّالِث: وُجُوه الإِعْرَاب ,الرَّابِع: النَّقْص وَالزِّيَادَة, الْخَامِس: التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير ,السَّادِس: الإِبْدَال, السَّابِع: اخْتِلاف اللُّغَات كَالْفَتْحِ وَالإِمَالَة وَالتَّرْقِيق وَالتَّفْخِيم وَالإِدْغَام وَالإِظْهَار وَنَحْو ذَلِكَ. قُلْت :القائل ابن حجر: وَقَدْ أَخَذَ [يعني الرازي] كَلامَ ابْنِ قُتَيْبَة وَنَقَّحَهُ) والرازي لم يُنَقِّح كلام ابن قتيبة فقط، وإنما زاد عليه اختلاف اللهجات أيضًا .

لكن لا يَغِيبَنَّ عن بالك أنَّ توهين قاسم بن ثابت لكلام ابن قتيبة وجيهٌ جدًّا من حيثُ حصر الأحرف السَّبْعَة في الوجوه التي ذكرها ابن قتيبة؛ لأنَّه بإمكان غيره أن يزيد عليها أو ينقص منها، كما زاد الرازي عليه مثلاً اختلاف اللهجات في النطق باللفظِ الواحد، وقد اعترف ابن قتيبة بهذا الاختلاف وكذا ابن الجزري، لكنهما لم يعتبراه من وجوه الأحرف السَّبْعَة، في الوقت الذي اعترفا بتأثيرِه على النطق باللفظ الواحد.

بل لم يذكر ابن قتيبة غير هذا الفارق في أول (المشكل) كما سبق النَّقْل عنه قبل قليل، وحصر غيره الأحرف السَّبْعة في اختلاف اللهجات فقط.. ولا يَغِيبَنَّ عنك أنَّ القرآن قد نزل على أُمَّةٍ أُمِّيَّة لا تقرأ ولا تكتب، وإنما كانت تعرف الفصاحة والبلاغة نطقًا وسماعًا، فهي إنما تعرف مخارج الحروف لا رسمها وطريقة كتابتها، هذا هو الأصل في الأمة آنذاك، ولذا فقد

طلب النبي صلى الله عليه وسلم التخفيف مرارًا عن هذه الأمة الأُمِّيَّة، حتى أوصلها إلى سبعةِ أحرُفٍ يمكن للقارئ أن يقرأ بها، يعني سبع وجوهٍ يمكن للقارئ أن يَقْرَأَ بها..

هذا هو المتبادر الظاهر في معنى الأحرُف من لغة العرب، ثم هو الموافق لظاهر الحديث كما سبق، وإليه ذهب الخليل بن أحمد والطحاوي وابن عبد البر وغيرهم كما سبق.

وهذه الوجوه: يمكن أَنْ تكون اختلافًا في اللهجة، أو في التصريف، أو الإعراب، أو التذكير والتأنيث، وغير ذلك من الوجوه المقبولة مِمَّا ذَكَرَهُ العلماء من حيثُ تحليل اللفظ والنَّظَر إلى كيفية الاختلاف بين اللفظين المقروء بهما.. ولكن ينبغي التفريق هنا بين أمرين:

الأول : بين الأحرف السبعة الواردة في الحديث .

الثاني : وجوه اختلاف الأوجه السبعة، وكيفية الخلاف فيما بينها.

فالثاني هنا مترتِّبٌ على الأول، وأثرٌ له، وليس سابقًا عليه، ولاشكَّ أنَّ حصر الأحرف السبعة في وجوه اختلافها خطأٌ عظيم؛ لأنَّه يعني الخلط بين الأحرف السبعة نفسها، وبين الأثر المترتِّب عليها، من البحث في وجوه اختلافها وفائدتها وكيفيتها وغير ذلك، فهذه الأبواب كلّها آثارٌ مترتِّبةٌ على وجود الأحرف السبعةِ، وليست فصولاً ولا مُقَدِّماتٍ سابقةٍ على وجودها..

نعم وليس تفسيرًا للأحرف السبعة؛ لأنَّه لابد في التفاسير والحدود في مثل هذا أن تكون شاملةً لكافة وجوه الْمُفَسَّرِ وبيان جوانبه؛ وهذا ما تفتقده التفسيرات آنفة الذِّكْر وكثير مما يشبهها؛ لخلوِّها عن تعريف الأحرف السبعة على الحقيقةِ.. ومن هنا نستطيع أن نقول: إنَّ تعريف الأحرُف السبعة والمراد منها لم يُخْتَلَف فيه على الحقيقةِ، وإنَّما وردَ الاختلاف في كيفية التفريق بين الأحرُف السبعة، وما يميِّز كلَّ حرفٍ منها عن مثيلِه في موضعٍ

بعينه، فالأول مُذكَّر والثاني مؤنَّث، أو الأول جمع والثاني مُفْـرد، أو الأول مرفوع والثاني منصوب، وهكذا سائر وجوه التفريق والتمايز بين الأحـرف السبعة..

ومِمَّا يُؤْسَفُ له حقيقةً أن تنتقلَ المعركة في التفريق بين الأحرُف أو التمييز بينها في موضعٍ بعينه إلى مجال بيان الأحرف السبعة تعريفًا من حيثُ المراد منها، بحيثُ صار الخلاف محصورًا وعبر سنواتٍ في أثرٍ من آثار الأحرف السبعة، في الوقت الذي اختفى فيه البحث في تعريف الأحـرف السبعة إلا نادرًا !!

وهذا الذي ذكرتُه لك هو خلاصة ما مَنَّ الله عز وجل به على العبد الضعيف كاتب هذه السطور، وآمل أنْ يفتح الله عز وجل القلوب والأبـصار له فتعي ما أردتُه وتنصح فيه ...

ويمكنني أنْ أُلَخِّصَ لك نتائجُ ما سبق هنا في الآتي:

أولاً :أن الراجح في تعريف الأحرف السبعة هـو: سـبعة وجـوه أو سـبعة قراءات بألفاظٍ مختلفة للمعنى الواحد، أو هو تأدية المعنى الواحد بـأكثر من لفظٍ، نحو أَقْبِلْ، هَلُمَّ، تَعَالَ .

ثانيًا :اختُلِفَ في صورة المخالفة والتمييز بين وجوه الأحرف السَّبْعَةِ على وجوهٍ يمكن الجمع بينها، لكنها جميعًا ليست تعريفاتٍ للأحرفِ السبعة، وإنما هي أثرٌ من آثارِ البحث في الأحرف السبعة، وتمييز بعضها مِن بعضٍ ..لكن لابد من التنبيه هنا على أمور:

الأول :أنَّ هذه الوجوه هي بمثابة المترادفات لمعنًى واحدٍ، وليست اختلافًا حقيقيًّا أو اختلاف تضادّ، وإنما هي اختلاف تنوُّع في اللفظِ للتعبيرِ عن مَعْنًى واحدٍ، زيادةً في البلاغة والفصاحة وتقرير المعجزة القرآنية ..

الثاني :أنها وحي، وليست من اختيار البشر، بل هي جزءٌ مِن الوحي، تلقَّاها

النبي صلى الله عليه وسلم وحيًا، وعلَّمَها أصحابُه صلى الله عليه وسلم، فبلَّغوها مَنْ بعدَهم

الثالث :أنها متفرِّقة في القرآن الكريم كله، ولا يعني نزوله على سبعة أحرفٍ أن كل كلمة منه تُقْرأ على سبعةِ أوجهٍ، فهذا مما لم يقل به أحدٌ قط، وقد أنكره العلماء ونبهوا عليه، وقد مضى تنبيه أبي عبيد وابن عبد البر وغيرهما على هذا.

الرابع :لا يصح اعتقاد الزيادة في القراءة على سبعةِ أوجهٍ؛ لأنَّه لم يزد في الحديث على سبعةٍ، وما ذكروه في نحو(أُفٍّ) زيادةً على ثلاثين وجهًا كما حُكِي عن الرماني فلا يصح، فإما أنْ يعود إلى سبعةِ أوجهٍ، أو يُؤْخَذ منه الأوجه السبعة الموافقة للمصحف، ويُتْرَك ما سواها.

الخامس :أنَّ الأحرف السبعة شيءٌ والقراءات السبعة التي صنَّفها بعض القُرَّاء شيءٌ آخر، وليسا واحدًا، وقد نبَّه على ذلك الجماعات من أهل العلم قديمًا وحديثًا، كابن عبد البر وابن حجر وغيرهما..

وقد صنَّفَ ابن مجاهد والشاطبي وغيرهما قراءة سبعةً من الأئمة، ففهم بعضهم من ذلك أنها الأحرف السبعة، أو أنه لا يصح غيرها، وليس كذلك، بل ربما كان في القراءات العشر ما هو أكثر شهرةً مما ذكره ابنُ مجاهد وغيره في تصنيفهم قراءات سبعة من الأئمة، ومَرَدّ ذلك كله على العِلْم والاطلاع وطريقة التصنيف، وليس المراد لابن مجاهد ولا الشاطبي ولا غيرهما من أئمة القراءات توهين قراءة غير هؤلاء الأئمة السبعة الذين صنَّفوهم، وإنما المراد جمع قراءات سبعة أئمة، كما جمع غيرهم قراءات عشرة أئمة، لكنها جميعًا سواءٌ كانت لسبعةٍ أو لسبعين أو لسبعمائة لا تخرج عن الأحرُفِ السَّبْعَة التي نزل بها القرآن الكريم.

فالحديث يتكلَّم عن وجوهٍ سبعةٍ في القراءة، وأما ابنُ مجاهد ونحوه فمرجع الكلام عندهم عن سبعة أئمة..

وبعبارةٍ أخرى: الحديث يتكلم عن وجوهٍ قرآنيةٍ، وابن مجاهد وأمثاله اختاروا سبعةَ أئمةٍ ممَّن نقلوا هذه الوجوه القرآنية، فقيَّدوا ما نقلوه ..

فالأئمة السبعة المذكورون عند ابن مجاهدٍ مثلاً هم من نَقَلَةِ الوجوه القرآن الذي نزل على سبعة أحرُفٍ، كما أن غيرهم من العشرة أو غيرهم قد شاركهم في نقل القرآن الكريم، وإنَّما عُنِيَ العلماء بهؤلاء الأئمة نظرًا لدقَّتِهم وعنايتهم وتفرُّغهم لإتقان النَّقْل والرواية والسماع للقرآن الكريم.

فهذا كما ترى ليس اختلافًا ولا ترادفًا، وإنما هو قرآنٌ نزل على سبعةِ أحرُفٍ، ونقلَهُ الكافَّةُ من الناس إلى مَنْ بعدَهم، فبرزَ من بين النَّقَلَةِ أئمة كبار، اختار ابنُ مجاهدٍ مثلاً سبعةً منهم، فصنَّفَ رواياتهم وسماعهم في كتابه، بينما اختار آخرون غير زيادة على ما اختاره ابنُ مجاهدٍ من أئمةٍ، لكنَّهم جميعًا يدورون في فلك نقل القرآن الكريم الذي نزل على سبعةِ أحْرُفٍ..

المبحث السادس

الفرق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع

يجمع العلماء على أنه من الخطأ القول بأن الأحرف السبعة هي القراءات السبع. يقول أبو شامة في كتابه "المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز": ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل. ويقول مكي: من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هي الأحرف السبعة التي في الحديث، فقد غلط غلطا عظيم. ويمكننا تأصيل الفوارق الأساسية بين الأحرف السبعة والقراءات السبع فيما يلي:

أولا: الأحرف السبعة قرآن، وهي نزلت من عند الله على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، منقولة إلينا بالتواتر، متعبد بتلاوتها جميعها.

في حين أن القراءات السبع هي اختلاف لفظ الحروف، أي اختلاف لفظ الوحي المذكور في الحروف، أي اختلاف في كيفية النطق للأحرف السبعة.

والقراءات السبع تعكس اختلاف اللهجات، وكيفية النطق بالأحرف السبعة أي بالقرآن، وكيفية أدائها من تخفيف، وترقيق، وتثقيل، وتشديد، وإمالة، وإدغام، وإظهار، ومد، وقصر، وإظهار، وإشباع، وحركات إعراب... الخ فالقراءات مذاهب أئمة في كيفية أداء القرآن أي الأحرف السبعة. وأما الأحرف السبعة فهي قرآن يعبر عن معنى واحد بألفاظ متعددة، تصل أحيانا إلى السبعة، فتكون هي الأحرف السبعة، وأحيانا ينزل القرآن بلفظ واحد أو أثنين أو ثلاثة، حسب ما يقتضيه اختلاف وتعدد لغات العرب، ويؤدي المعنى المطلوب، وذلك ضمن ما يحتمله اللفظ أو النص القرآني من وجوه التغاير والاختلاف فيه من إفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير، وتأنيث، مثل لفظ (لأمنتهم)في قوله تعالى: ("والذين هم لأمنتهم وعهدهم راعون)فقد ورد

رسمها هكذا في المصحف فهي تحتمل الإفراد مثل أمانتهم، والجمع مثل أماناتهم، وذلك لأن رسمها جاء دون ألف فهي لفظان يفيدان معني واحدا، فقراءتها بالإفراد يعني الجنس الدال على الكثير، وقراءتها بالجمع يعني الاستغراق الدال على الجنسية. وكذلك يقصد بالأحرف السبعة الاختلاف في وجوه الإعراب مثل قوله تعالى: (ما هذا بشرا)(وما هذا بشر) بالنصب والرفع. وكذلك الاختلاف في التصريف في الأفعال والأسماء مثل قوله تعالى: (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) وذلك بنصب ربنا لأنها منادى مضاف، وتسكين باعد لأنها فعل أمر مبني على السكون، أو (فقالوا ربُنا باعدَ بين أسفارنا) بضم ربنا لأنها فاعل، وفتح باعد، لأنها فعل ماض مبني على الفتح.

وكذلك الاختلاف في التقديم والتأخير مثل: قوله تعالى: (فيَقتلون ويُقتلون) ببناء الفعل الأول للمعلوم والثاني للمجهول، أو (فيُقتلون ويَقتلون) ببناء الفعل الأول للمجهول والثاني للمعلوم. وكذلك الاختلاف بالزيادة والنقص مثل قوله تعالى: (وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار) بنقص من، (وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) بزيادة "من" وهما قراءتان متواترتان.

وبالنسبة للقراءات فالاختلافات في معظمها تدور حول:

١- مخارج الحروف: كالترقيق، والتفخيم، والميل إلى المخارج المجاورة، كنطق "الصراط" بإمالة الصاد إلى الزاي.

٢- الأداء: كالمد، والقصر، والوقف، والوصل، والتسكين، والإمالة، والإشمام.

٣- الرسم: كالتشديد، والتخفيف مثل: "يُغشِي"، "ويُغشِّي". "وفُتِحت"، "وفتّحت" بتشديد الياء.

٤- الإدغام والإظهار، مثل "تذكرون"، "وتتذكرون".

٥- الهمز ومد الألف مثل: "ملك"، "ومالك"، "ومسجد"، "ومساجد" لتحمل الرسم النطقين.

٦- التنقيط والحركات النحوية مثل: "يفعلون"، "وتفعلون"، "ويغفر"، "وتغفر"، "وفتبينوا، "وتثبتوا"، "ويأس"، "ويتبين"، "وأرجلَكم"، "وأرجلِكم".

ثانيا: الأحرف السبعة متواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، بينما القراءات السبع متواترة عن الصحابة رضوان الله عليهم، ومنها المشهور أيضا.يقول الزركشي في "البرهان عن القراءات السبع": والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم ففيه نظر، فإن إسنادهم بهذه القراءات السبع موجود في كتب القراءات وهي نقل الواحد عن الواحد.

وبالنسبة للأحرف السبعة فقد أورد السيوطي في "إتقانه" أسماء واحد وعشرين صحابيا شهدوا الحديث، مما قطع بتواتره عند العلماء، ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام.

ثالثا: الأحرف السبعة وردت في السنة النبوية على سبيل الحصر، بينما القراءات السبع ورد عددها اجتهادا، وهي ليست على سبيل الحصر، فهناك القراءات العشر، وهناك القراءات الأربع عشرة، وكل قراءة يتحقق فيها ضوابط الصحة الثلاث. فالنسبة للأحرف السبعة وردت بها الأحاديث النبوية حصرا. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده، ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف) .

أما بالنسبة لعدد القراءات السبع فلم ترد به السنة النبوية، وتوافقه مع عدد الأحرف السبع إنما جاء مصادفة، وليس تحقيقا، وعليه فكل قراءة غير

السبع تحقق فيها ضوابط الصحة الثلاث تعتبر صحيحة ويعتد بها، قال ابن الجزري في أول كتابة "النشر في القراءات العشر": كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ويقول القراب في "الشاطيء": التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين.

الخاتمـــــة

إن الكتابة في هذا الموضوع وأمثاله من المواضيع التي لها ارتبـاط وثيق بالقرآن الكريم ليست من المواضيع التي يتأتى لأمثالي إضـافة جديـد فيها، فقد وقف لها كبار العلماء وقالوا فيها القول الفصل، وليس لنا بعد ذلـك إلا جمع أقوالهم، وإتاحتها للدارسين. فهـي مـن المواضـيع ذات المركـب الصعب، ويجب فيها الحذر من أن تذل الأقدام، فقد خاض فيهـا كثيـر مـن المستشرقين ومن لف لفهم من المستغربين من أهـل الإسـلام، ولـضرورة المنهج البحثي الذي اتخذته في تناول هذا الموضوع من وجهة معينـة ، لـم أقف عند أقوال المستشرقين. ولم أتعرض لأقوال من شايعهم ، فلعلي أعـود لذلك ذات يوم .

ومن خلال هذا البحث وقفنا على الاختلاف والبون بـين القـراءات القرآنية والأحرف السبعة التي تنزل بها القرآن الكريم . فعرفنا أن الأحـرف السبعة هي وجوه للقراءة فهي القرآن بعينه ، وأما القراءات فهي طريقة فـي الأداء تتضمن ذات الأحرف السبعة لأنها من القرآن مما حدا ذلـك بـبعض العلماء ألا يقولوا بالفرق بين القراءات والأحرف السبعة . وقد تطرقنا لذلك .

وأفادت الروايات أنَّ هذه الأحرف مُتَلَقَّاة عن الوحي الإلهيِّ، ولـيس اختيارًا ولا مذهبًا بشريًّا في القرآن، وإنما هي امتنانٌ من الله عز وجل علـى هذه الأمة الضعيفة بالتيسير والتخفيف، كما مضى صريحًا كما قررنا في هذه المسألة..

وفي الختام أبادر بالاعتذار عما يكون قد بدر من خلل أو فـاتني مـن قول لم أدرجه، أو اعترى هذا البحث من قصور، فمن عادة الإنسان النقصان القصور، وسبحان الذي لم يخص بالكمال غيره.

فرحم اللّه من رأى خللا فسدّه، أو نقصا فأكمله، أو غلطا فصححه، فإنما نظل عمرنا نتعلم، و حسبي أنني نقبت و بحثت، و تخيرت و انتقيت، و جمعت و رتبت، لعلى أن أكون قد قدمت ما ينفع الناس، و يثقل ميزاني في آخرتي.اللهم إني أتوجه به إليك، و أقصد به وجهك، و أبرأ من حولي و قوتي إلى حولك و قوتك فإنه لا حول و لا قوة إلا بك، و أعترف بعجزي و تقصيري فاغفر زلتي، و أقل عثرتي، و أجب دعوتي، و علمني ما لم أكن أعلم مما ينفعني و ينفع الناس به معي. و صلّى اللّه و سلّم و بارك على سيدنا محمد و على آله و أصحابه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

النتائج :

١ــ أحاديث أنزال القرآن الكريم على سبعة أحرف صحيحة ومتواترة.

٢ــ عدم القطع بمفهوم معنى الحرف السبعة يعود لفهم الصحابة لها فهما تاما لم يترك لنا أثرا عن معناها .

٣ــ تنحصر العلاقة بين القراءات والأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم من حيث تعلقها بالقرآن الكريم في أن الأحرف السبعة من صميم القرآن الكريم والقراءات من أساليب الأداء للقرآن الكريم من حيث القراءة .

٤ــ الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم هي سبعة على الحقيقة ، وليس المراد من السبعة هو التكثير كما اشتهر ذلك في دلالة السبعة .

٥ــ المصادر التي تناولت علوم القرآن قديما ، لا تناسب في تناولها منهج البحث الحديث من حيث التبويب ، وهي صعبة الفهم لطلبة الدراسات الإسلامية ، ولهذا يجب تبسيطها لطلبة العلم حتى تكون سهلة ميسرة .

التوصيات:

١ــ إخراج المخطوطات إخراجا جديدا من حيث الهوامش والتعليقات ، خاصة تلك المخطوطات التي تناولت الموضوعات التي لها تعلقا بالقرآن الكريم .

٢ــ تبسيط منهج وأسلوب موضوعات الكتابات القديمة التي تناولت القراءات والأحرف السبعة .

٣ــ الاهتمام بتدريس القراءات القرآنية بجانب العلوم الأخرى التي لها تعلقا مباشرا بالقرآن الكريم لطلبة كلية أصول الدين في كافة مساقات التخصص بها .

٤ــ الاهتمام بخلاوي القرآن الكريم وحافظ القرآن وتسليحه بالعلوم العصرية وتدريبه على المهن التي تحددها ميوله ورغباته لتكون له بابا للكسب .

٥ــ عمل المسابقات الراتبة في حفظ القرآن الكريم حسب الفئات العمرية والأجزاء التي تم حفظها .

الهوامـــــــش :

1 / انظر : الإتقان في علوم القرآن ، ١ / ١٠٢ ، كتاب المصاحف ، لابن أبي داوود ، ص : ١٨ ، وانظر : جامع البيان ، للإمام ابن جرير الطبري ، ١ / ٢٠ ـــ ٢١ .

٢ / محمد بن سعدان الضرير الكوفي النحوي المقرئ أبو جعفر ، أخذ القراءات عن أهل مكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة ـــ ت٢٣١هـ (انظر بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة للسيوطي ص٤٥ط . دار المعرفة ـــ بيروت) .

٣ / انظر ، المرشد الوجيز ، ص : ٩٣ .

٤ / لسان العرب : مادة قرأ ، ١ / ١٢٨ .

5 / منجد المقرئين ، ابن الجزري ، ٣ .

6 / انظر : تعريف أصول القراءة وفرشها ، كتاب القراءات ، للدكتور شعبان إبراهيم ، ص : ٣٥ .

7 /علوم القرآن ، د/ نور الدين عتر ، ص ، ١٤٦ .

8 / منجد المقرئين لابن الجزري : ٣ .

9 / الإتقان في علوم القرآن : ١ / ١٣٨ .

10/ انظر تراجم هؤلاء القراء في طبقات القراء ، الجزء الأول والثاني .

١١ / انظر : البرهان في علوم القرآن ، ١ / ٣٢٩ .

١٢ / انظر البرهان ، المصدر السابق ، ١/ ٣١٨ .

١٣ / انظر: شعبان محمد إسماعيل (القراءات : ٢١) نقلا عن (البرهان ١/ ٣١٨) ط الحلبي .

١٤ / في رحاب القرآن للدكتور محمد سالم محيسن ١/ ٢٠٩ ـــ ٢١٠ .

١٥ / درج بعض المعاصرين في التعبير عن مصدر القراءات بقولهم (نشأة القراءات) وهو تعبير غير سديد ؛ لإيهامه أن القراءات نشأت بتأثير الرسم أواللهجات ، وأنها لم تكن ثم كانت ، بينما التعبير ب(مصدر القراءات) يدل على البحث عن مصدرها ، هل هو الوحي كما ثبت بالأدلة ، أم التأثر باللهجات أو الرسم كما يزعم المستشرفون .

١٦ / أساوره : أثابوه وأقاتله . النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٤٠ .

١٧/ لببته : بفتح اللام وموحدتين ، الأولى مشددة ، والثانية ساكنة ، أي جمعت عليه ثوبه عند لبته ، وجررته به لئلا يتفلت مني ، واللبة : الهزمة التي فوق الصدر وفيها تنحر الإبل . النهاية ٤/ ٢٢٣ .

١٨ / بمعنى أخطأت ، وأهل الحجاز يسمون الخطأ كذبا ؛ لأن كلا منهما إخبار بخلاف الواقع .

١٩ / صحيح البخاري ، في التوحيد (قوله الله : فاقرؤوا ما تيسر من القرآن) ٦/ ٢٧٤٤ . وفضائل القرآن (أنزل القرآن على سبعة أحرف) ٤/ ١٩٠٩ ، والخصومات ، (كلام الخصوم بعضهم في بعض) ٢/ ٨٥١ ، واستتابه المرتدين ، (ما جاء في المتأولين) . ورواه الإمام مسلم ، في صلاة المسافرين (بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف) ١/ ٥٦٠ وأبو داوود ، في الصلاة ، (أنزل القرآن على سبعة أحرف) ٢/ ٧٥ ، والترمذي : في أبواب القراءات (ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف) ٥/ ١٩٣ . النسائي ، في الإفتتاح ، (ما جاء في القرآن) ٢/ ١٥٠ .

٢٠ / معناه أن الشيطان وسوس له تكذيبا للنبوة أشد مما كان عليه في الجاهلية ، قال القرطبي : ولما رأى النبي ﷺ ما أصابه من ذلك الخاطر نبهه بأن ضربه في صدره فأعقب ذلك أن انشرح صدره ، وتنور باطنه حتى آل به الكشف والشرح إلى حال المعاينة، ولما ظهر له قبح ذلك الخاطر خاف من الله تعالى ، وفاض بالعرق استحياء من الله تعالى ، فكأن هذا الخاطر من قبيل ما قال فيه النبي ﷺ ، حين سألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال : (وقد وجدتموه ؟ قالوا نعم . قال : ذلك صريح الإيمان) (الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٩) .

٢١ / صحيح مسلم في صلاة المسافرين ، (بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف) ٦/ ١٠٣ بشرح النووي ، والإمام أحمد في المسند : ٥/ ١٢٧ ــ ١٢٨ ، والطبري في تفسيره : ١/ ٣٢ .

٢٢ / أضاة : دون همز وبعضهم يهمزه (أضاءة) ، وجمعه أضوات وأضا وإضاء ، وهو الماء المستنقع من سيل أو غيره ، ويقال هو غدير صغير ، ويقال هو مسيل الماء إلى الغدير ، وغفار : قبيلة من كنانة ، وسيأتي بيان موقع الأضاة ، انظر معجم البلدان لياقوت ١/ ٣١٤ ، ولسان العرب لابن منظور ١٤/ ٣٨ .

٢٣ / جاءت في جميع المصادر (أمتك) بالرفع في الفاعلية ، ما عدا رواية الطبري (تقرئ أمتك) بالنصب على المفعولية ، والمعنى واحد ، أي أن تقرئهم على حرف فيقرؤون به . وقد أخطأ ضبطها (تقرئ أمتك) بالنصب ثم خرجها من صحيح مسلم ، كالدكتور شعبان إسماعيل في كتابه القراءات : ٤٧ ، ومناع القطان في علوم القرآن : ١٥٧ .

٢٤ / صحيح مسلم : في صلاة المسافرين ، (بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف) ٦/ ١٠٣ بشرح النووي ، وانظر مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٥١٦ ، وسنن أبي داوود، في الصلاة ، (أنزل القرآن على سبعة أحرف) ٢/ ٧٦، وسنن النسائي، في مفتاح الصلاة، (جامع ما جاء في القرآن) ٢/ ١٥٠، وجامع البيان للطبري ١/ ٣٩ وما بعدها .

٢٥ / سنن الترمذي ، في أبواب القراءات ، (أنزل القرآن على سبع أحرف) ٥/ ١٩٤ ــ ١٩٥ .

٢٦ / مسند الطيالسي : ٧٣ حديث (٥٤٣) ، ومسند الإمام أحمد ٥/ ١٣٢ ، وجامع البيان للطبري ١/ ٣٥ وما بعدها ، ومشكل الآثار للطحاوي ٤/ ١٨٢ . وأحجار المراء إسم موضع سيأتي تحديده ، وهي جمع حجر ، والمراء بمعنى الجدال ولعل التسمية ترجع إلى وقوع جدال وسباب عندها فسميت باسم ما وقع فيها .

٢٧/ مثل الإمام أبي عمرو الداني في كتابته (الأحرف السبعة) . والشيخ محمد بخيت المطيعي في كتابة (الكلمات الحسان في الحروف السبعة وجمع القرآن) والدكتور حسن ضياء الدين عتر في كتابه (الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها) .

٢٨ / سنن الترمذي ٥/ ١٩٤ ــ ١٩٥ .

٢٩ النشر في القراءات العشر ١/ ٢١ .

٣٠ / الإتقان في علوم القرآن ١/ ٤٥ .

٣١ / انظر الأحرف السبعة للدكتور حسن ضياء الدين عتر : ١٠٨ .

٣٢ / الأحرف السبعة للدكتور حسن عتر : ١٠٩ .

٣٣ / فضائل القرآن ، لأبي عبيد القاسم بن سلام : ٣٠٣ .

٣٤ / هو علي بن عثمان بن محمد يعرف بابن القاصح ، عالم بالقراءات ، من أهل بغداد، من مؤلفاته، (تلخيص الفوائد) في شرح رائية الشاطئ ، و(عقيلة أتراب القصائد في رسم المصحف) توفي سنة ٨٠١ هـ . انظر الأعلام (٤/ ٣١١) .

٣٥ / رسم المصحف لغانم الحمد : ١٣٠ .

٣٦ / الأحرف السبعة للدكتور حسن عتر : ٦٦ ــ ٦٧ .

٣٧ / قرأ حمزة و ألكسائي وخلف (المجيد) بخفض الدال، وقرأ الباقون برفعها، انظر: تحبير التيسير: ١٩٨.

٣٨/ ممن ذهب أنها للدلالة على التكثير ؛ جمال الدين القاسمي في تفسيره (محاسن التأويل) ١/ ١٨٧ . وقال به أيضا : مصطفى صادق الرافعي ، في كتابه (إعجاز القرآن) ص: ٦٨ . و كذلك الدكتور / عبد الصبور شاهين (تاريخ القرآن) ص : ٤٥ . ونسب هذا القول إلى القاضي عياض (انظر : الإتقان في علوم القرآن) ١/ ١٣١ . وقد تلقف هذا القول المستشرقون وجعلوه دليلا على أن قضايا القرآن لا ترتكز على أساس مكين ، (انظر : مباحث في علوم القرآن ، للدكتور ؛ صبحي الصالح ، ص: ١٠٤ . وقد غاب عنهم أن الوجوه في القراءة مهما كثرت فإنها تندرج تحت الأحرف السبعة .

٣٩ / انظر : تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة : ٣٨ ــ ٤٠ .

٤٠ / انظر الصحيحين : رَوَى البخاريُّ ، رقم الحديث (٤٩٩٢)، ومسلمٌ ، رقم الحديث:(٨١٨).

٤١ / أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أو الحسن من أئمة اللغة و الأدب ــ ت ٣٩٥هـ (الأعلام ١/١٨٤) .

٤٢ / معجم مقاييس اللغة لابن فارس ــ تحقيق عبد السلام هارون ــ جـ ٢ الطبعة الثانية ــ مطبعة الحلبي صـ ٤٢ ــ ٤٣ .

٤٣/ هو الحسين بن محمد بن الفضل الأصفهاني ــ أو الأصفهاني ــ المعروف بالراغب ــ ت ٥٠٢هـ (الأعلام ٢ / ٢٧٩).

٤٤ / المراد به : محمد بن يزيد الأزدي ، أبو العباس ، المعروف بالمبرد (ت ٢٨٦هـ) إمام العربية ببغداد في زمنه (الأعلام ، خير الدين الزركلي ــ الطبعة الثانية ٨/ ١٥) .

٤٥ / هو ؛ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ــ ت ٦٠٦هـ .

٤٦ / انظر : النهاية في غريب الحديث و الأثر ، لابن الأثير ، طبعة . عيسى البابي الحلبي و شركاه ، القاهرة ، مصر ، ١/ ٣٦٩.

٤٧/ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ــ تحقيق السيد أحمد صقر ، طبعة ، البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، صـ ٢٧ .

٤٨/ هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي ، محدث الحرم المكي ، كان حافظا ثقة واسع العلم ، قال الشافعي رحمه الله تعالى : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، وقال أحمد رحمه الله تعالى : ما رأيت أحدا من الفقهاء ، أعلم بالقرآن والسنن منه ــ ت١٩٨ هـ (تهذيب التهذيب لابن حجر ٤/ ١١٧ . ط. دار صادر) .

٤٩ / هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء المصري أبو محمد ، فقيه من الأئمة، من أصحاب مالك، كان حافظ ثقة مجتهدا عابدا ــ ت ١٩٧ هـ (تهذيب التهذيب ٦/٧١).

٥٠/ محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر ، جمع مكن العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، صنف في التاريخ والتفسير والحديث والفقه والقراءات ــ ت ٣١ هـ (طبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٠٦ ، مكتبة وهبة) .

٥١/ أحمد بن محمد بن سلامة المصري الطحاوي الحنفي ، محدث الديار المصرية وفقيهها، من مصنفاته : اختلاف العلماء ، وأحكام القرآن ، ومعاني الآثار ، وبيان السنة والجماعة في العقائد ــ ت ٣٢١ هـ (سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ٢٧ ، ط. مؤسسة الرسالة، وهدية العارفين للبغدادي ١/ ١٨ ، ط. استانبول) .

٥٢ / هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري أبو عمر القرطبي المالكي ، الحافظ الفقيه العالم بالقراءات والأحاديث والأنساب والأخبار ، من مؤلفاته : الاستيعاب في تراجم الصحابة ، وجامع بيان العلم وفضله ، والمدخل في القراءات ، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ــ ت ٤٦٣ هـ (وفيات الأعيان لابن خلكان ــ بتحقيق د. إحسان عباس ٧/ ٦٦ ، ط. دار الثقافة) .

٥٣ / المرشد الوجيز ــ ص : (١٠٢ ــــ١٠٣) ــ وقد نقل هذا أبو شامة عن ابن عبد البر في كتابه (التمهيد) .

٥٤ / أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الخراساني البغدادي ، من كبار العلماء بالقراءات و الحديث و الفقه و العربية و الأخبار (ت ٢٢٤هـ) من مصنفاته : الأموال ، و غريب الحديث ، و فضائل القرآن (وفيات الأعيان ، لابن خلكان ــ تحقيق إحسان عباس ٤/٦٠ ــ دار الثقافة ــ بيروت) .

٥٥ / أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار ، أبو العباس النحوي الشيباني بالولاء المعروف بثعلب ، إمام الكوفيين في النحو و اللغة (ت ٢٩١هـ) ، من تصانيفه : مجالس ثعلب ،

و معاني القرآن ، و إعراب القرآن (أنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ــ تحقيق محمد أبو الفضل ، ط . دار الفكر و مؤسسة الثقافة) .

٥٦ / محمد بن مسلم الزهري من بني زهرة من قريش أول من دون الحديث ، تابعي من أهل المدينة ــ ت ١٢٤هـ (تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩) .

٥٧ / عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، من أهل غرناطة، مفسر فقيه، من كتبه: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ــ ت ٥٤٢هـ، (بغية الوعاة للسيوطي ص ٢٩٥) .

٥٨ / المرشد الوجيز ص ٩١ ــ و الإتقان ١/ ٤٧ .

٥٩ / الجامع لأحكام القرآن ٤٤/١ ــ ٤٥ ، و الفقرة الأخيرة تشير إلى ما رواه مسلم عن قطبة ابن مالك قال : صليت وصلي بنا رسول الله ﷺ فقرأ (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) ، حتى قرأ : (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) ، قال فجعلت أرددها ولا أدري ما قال ، و الباسقات : الطول ، و الباسق : الذاهب طولاً من جهة الإرتفاع ، و لم يكن هذا في لغة قبيلة قطبة بن مالك .

٦٠/ على بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ ، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح ، و تربى في حجر رسول الله ﷺ ، و شهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك ، و هو أحد رجال الشورى الذين نص عليهم عمر ، ورابع الخلفاء الراشدين ، قتل غيلة في رمضان سنة أربعين من الهجرة (الإصابة ٢/ ٥٠١) .

٦١ / عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ ، و لد قبل الهجرة بثلاث، و قبل بخمس، استجاب الله دعوة رسوله فيه: " اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل "، مات بالطائف سنة ثمان و ستين (الإصابة ٣٢٢/٢) .

٦٢ / المرشد الوجيز ص ٩٦ــ ٩٧ .

٦٣ / أحمد بن على بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين بن حجر ، من أئمة العلم و التاريخ ، وكان راسا في علوم الحديث ، أصله من عسقلان بفلسطين ، و مولده ووفاته بالقاهرة ، له تصانيف كثيرة في التراجم و علوم الحديث و شرحه ، و لا سيما فتح الباري في شرح صحيح البخاري ــ ت ٨٥٢هـ (الأعلام ١٧٣،/١) .

٦٤ / فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٢٤/٩ ، المطبعة السلفية و مكتبتها .

٦٥/ فنون الأفنان : ابن الجوزي ، ص : ٦٧ .

٦٦ / تفسير القرطبي : ١/ ٤٢ .

٦٧/ الإتقان في علوم القرآن : ١ / ١٣٨ .

٦٨ / فتح الباري / ٤٩٩٢ .

٦٩ / التمهيد : ٨ / ٢٧٦ .

٧٠/ الغريب ،(١١/٢، ١٥٩/٣.)

٧١ / تفسير الإمام الطبري : ١/ ٥١ .

٧٢ / ابن الجوزي : فنون الأفنان ، ٨٥ .

٧٣ / نظر: التمهيد لابن عبد البر ٢٧٨/٨

٧٤ / ابن عبد البر في (التمهيد) (٢٨٠/٨).

٧٥ / التمهيد : ٨ / ٢٨٠ .

٧٦ / التمهيد : ٨ / ٢٧٤ .

٧٧ / المغرب في ترتيب المعرب ، للمطرز : ١/ ١٩٦ .